سعيد الديوه جي

بيت الحكمة

مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر

١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م

الطبعة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولوا الألباب .

المقدمة

ان حركة الترجمة التي قام بها العرب ـ بعد اتصالهم بغيرهم من الامم ـ اطلعتهم على علوم ومعارف لم تكن معلومة عندهم .

ومما وجدوه من المؤسسات الثقافية في البلاد التي فتحوها، او التي اتصلوا بها هي «دور الحكمة او دور العلم »فوجدوا في الاسكندرية«دار علم «١» استعان العرب بعلمائها في ترجمة وشرح كتب الحكمة. وكان في «اخميم»ـ«٢» من بلاد مصرـدار حكمة لا تقل في الاهمية عن دار علم الاسكندرية، وفي الاندلس «بيت حكمة» حوت نفائس الكتب والمصورات. وكان في بلاد الروم وقبرص دور للحكمة.«٣» ولما ترجم العرب كتب الحكمة، واجتمع عندهم عدد كبير منها، رأى الخلفاء ومحبو العلم ان يجمعوا هذه الكتب في اماكن خاصة سميت بيت الحكمة او دار الحكمة او خزانة الحكمة، وكلها بمعنى واحد، يراد بها المحل الذي توضع به كتب الحكمة المختلفة . فعل الخلفاء هذا حباً بنشر العلوم والمعارف بين كافة الطبقات: غنيها وفقيرها، ليتيسر لكل فرد ان ينال قسطه من الثقافة، لان كتب الحكمة كانت عزيزة المطلب، غالية الثمن، يتعذر على الفقير ان يحصل عليها. فاودع الخلفاء والعلماء ما اجتمع لديهم من كتبها في محلات خاصة، وفتحوا ابوابها لكل قاصد، ويسروا للناس امر الترجمة والدرس والاستنساخ والمطالعة والمعارضة والبحث والنقد والتعليق عليها. فعلوا هذا خدمة للعلم، وحباً بنشره، ليقف الناس على حقائق الامور، ونتاج افكار الامم التي تقدمتهم .

واول بيت حكمة وقفنا على اخباره هو الذي اسسه ابو جعفر المنصور ببغداد،

«١ ، ٢» . اخبار العلماء : ٥٢ ، ١٢٧ « ٣ »وفيات الاعيان : ٢ : ١٣٦-١٣٨

واشتهر امره في خلافة الرشيد،ومن بعده المأمون .
ثم صار في العراق عدة خزانات للحكمة سنعرض لها عند بحثنا عنها .
وانشأ الاغالبة «دار حكمة» بمدينة «القيروان» في شمال افريقيا في القرن الثالث للهجرة .

كما انشأ الفاطميون«دار حكمة» في القاهرة «٣٩٥ – ٥٦٧ هـ= ١٠٠٤–١١٧١م» حوت نفائس المخطوطات في الحكمة والعلم والادب والفن.وبعد ان عمرت ١٧٢ سنة استولى صلاح الدين الايوبي على مصر ،فهدمها،وبنى في مكانها مدرسة للشافعية،ونقل القاضي الفاضل اكثر كتبها الى مدرسته «الفاضلية» .
وساعد الفاطميون «آل عمار» – في اواخر القرن الخامس للهجرة – على تأسيس «دار علم» او «دار حكمة» في مدينة طرابلس في سورية.وكانت من الدور المشهورة في العالم الاسلامي،ازدهرت مدة نصف قرن،ثم دمرها الصليبيون.
ومن المؤسسات الثقافية التي ظهرت في القرن الثالث للهجرة هي دور العلم.
وكان لها فضل في نشر الآداب والعلوم بين طبقات الشعب،فهي مؤسسات ثقافية عامة لمن يقصدها:فيجد فيها الكتب المختلفة ويحضى بعلماء يملون على الطلاب من تآليفهم وسماعهم.وتختلف عن دور الحكمة بعض الاختلاف، فهي مؤسسات ادبية،اكثر كتبها تبحث في اللغة والادب والفقه والاخبار والسير،ولا تخلو من كتب الحكمة .
اما دور الحكمة فهي مؤسسات علمية للثقافة العالية،اكثر كتبها في الحكمة والفلسفة والمنطق والطب والنجوم والرياضيات ، وغيرها من الكتب العلمية المختلفة .

وان بعض المؤرخين لم يفرقوا بينهما، كما فعل المقريزى عند كلامه عن دار الحكمة التي اسسها الفاطميون بالقاهرة فكان يسميها «دار العلم» او «دار الحكمة».وكما فعل غيره من المؤرخين الذين تكلموا عن دار حكمة آل عمار فان بعضهم سماها «دار علم» .
ونجد في دور الحكمة ودور العلم من التسهيلات ما يشجع الطالب على الاستزادة

من طلب العلم، فقد كانت الكتب في متناول من يقصدها، وتقدم لهم لوازم الكتابة، كما كان في دار حكمة القاهرة .

وكان في بعضها ينفق على المعسرين، فيقدم اليهم ما يحتاجونه، كان هذا في دار علم جعفر بن محمد بن حمدان «٢٤٠ – ٣٢٣ هـ» بالموصل. وفي بعضها منازل للغرباء يجد فيها الطالب وسائل العيش واسباب الراحة. كان هذا في خزانة الحكمة التي اسسها ابو الحسن علي بن يحيي بن ابي منصور المنجم «المتوفى سنة ٢٧٥ هـ» في «كركر» من نواحي «القفص» في العراق. وفي دار العلم التي اسسها القاضي ابن حبان البستي «المتوفى سنة ٣٥٤ هـ» في نيسابور.

ورسالتنا هذه تبحث في دور الحكمة وخزائنها المشهورة في بلاد الاسلام، واتماماً للبحث تكلمنا عن دور العلم ايضاً، وقد توخينا الاختصار في بحثنا، والله تعالى نسأله التوفيق .

سعيد الديوه‌جي

اهتمام العرب بعلوم الحكمة

اقبل العرب على ترجمة كتب الحكمة في صدر الدولة الاموية بعد ان اتصلوا بالامم التي دانت لحكمهم من روم وفرس وأقباط وسريان وغيرهم .

وأول ترجمة في الاسلام هي التي كانت على يد «خالد بن يزيد بن معاوية بن ابي سفيان » «المتوفي سنة ٨٥ هـ = ٧٠٤ م» فقد اجمع الذين تكلموا عنه انه كان : وحيد الرأى ، اديباً كثير الأدب ، حكيماً ، وكان اول من أعطى التراجمة والفلاسفة ،وقرب اهل الحكمة ، ورؤساء كل صناعة ، وترجم كتب النجوم والطب والكمياء والحروب والآداب والآلات والصناعات حتى سموه «حكيم آل مروان» .

ويذكر عنه ابن النديم : وله همة ومحبة للعلوم ، خطر بباله الصنعة ، فأمر باحضار جماعة من فلاسفة اليونان ، ممن كان ينزل مدينة مصر ، وقد تفصح العربية ، وامرهم بنقل الكتب في الصنعة ، من اللسان اليوناني والقبطي الى العربي ، وهو اول نقل كان الى العربية .

اخذ خالد علوم الحكمة عن احد رهبان مدرسة الاسكندرية ، يقال له «مريانوس» كما نقل له كتب الحكمة والنجوم راهب آخر اسمه «اسطفانوس» .

ووضع خالد كتباً في العلوم التي تعلمها ، ذكر ابن النديم منها : كتاب الحرارات ، وكتاب الصحيفة الكبير ، وكتاب الصحيفة الصغير ، وكتاب وصيته الى ابنه في الصنعة .

وذكر له ابن خلكان ثلاث رسائل في الصنعة : تضمنت احداهن ماجرى

له مع «مريانوس» المذكور وصورة تعلمه منه . والرموز التي اشار اليها .

وذكر له صاحب كشف الظنون : كتاب السر البديع في فك الرمز المنيع ، وكتاب فردوس الحكمة في علم الكيمياء . ومقالتا مريانوس الراهب . وذكروا له شعراً في الصنعة وغيرذلك .

ومهما كانت نظرتنا الى ماذكروه عن مؤلفاته، واهتمامه بالترجمة ، فاننا لا نشك في ان اول ترجمة الى العربية — في الاسلام — هي التي كانت على يده . كما ان اول تأليف في علوم الحكمة كان على يده ايضاً : وبهذا يكون خالد بن يزيد اول من اشتغل بترجمة وتأليف كتب الحكمة في الاسلام «١» .

وفي خلافة مروان بن الحكم « ٦٤ — ٦٥ هـ = ٦٨٣ — ٦٨٤ م » نقل ماسرجويه البصرى كناش أهرون بن أعين القس من اللغة السريانية الى اللغة العربية ، وهو كتاب نفيس في بابه . ولماسرجويه من الكتب : كتاب الاطعمة ومنافعها ومضارها ، وكتاب قوى العقاقير «٢» .

ولما تولى الخلافة عمر بن عبد العزيز «٩٩— ١٠١ هـ = ٧١٦ — ٧١٩م» وجد كتاب أهرون المترجم في خزائن الكتب بالشام ، ونظراً لما يحويه من المنافع الكثيرة فانه اخرجه الى المسلمين وحثهم على قراءته والانتفاع به «٣» .

وفي خلافة عبد الملك بن مروان «٦٥ — ٨٦ هـ = ٦٨٣ — ٧٠٥» ترجمت الدواوين الى العربية ، فبعد ان كانت دواوين مصر بالقبطية ، ودواوين الشام بالرومية ، ودواوين العراق بالفارسية ، صارت كلها تكتب بالعربية . فكان هذا من أهم الاسس التي أقيمت في بناء القومية العربية ، وفتحاً كبيراً في اللغة العربية ، فدخلها كلمات واصلاحات جديدة لم تكن معلومة عند العرب .

وعمل «ثاذون » من أطباء الحجاج بن يوسف كناشاً كبيراً لابنه في الطب ، كما ألف كتاباً في الادوية وكيفية المعالجة بها .

« ١ » الامير خالد بن يزيد— للمؤلف : ص: ٣٠—٣٦

« ٢ » طبقات الاطباء— ابن ابي اصيبعة: ١ : ١٦٣

« ٣ » اخبار العلماء— للقفطي: ٥٧، طبقات الاطباء: ٦١

ونقل ابو العلاء سالم كاتب هشام بن عبد الملك «١٠٥ ـــ ١٢٥هـ = ٧٢٣ ـــ ٧٤٢ م» من رسائل ارسطاطاليس الى الاسكندر. وكان سالم احد الفصحاء البلغاء . ونقل له غيره ، وأصلح هو النقل ، وله رسائل نحو مائة ورقة شاهدها ابن النديم «١» .

وفي الدولة العباسية كثر اختلاط العرب مع غيرهم من الامم التي دانت لحكمهم ، وزادت رغبتهم بالاطلاع على علوم القوم ومعارفهم . فقربوا العلماء والاطباء والحكماء واهل الفنون والآداب واجزلوا لهم العطاء .

فأبو جعفر المنصور «١٣٥ ـــ ١٥٨ هـ = ٧٥٢ ـــ ٧٧٤ م» مع براعته في الفقه والحديث واللغة ، كان كلفاً بعلوم الحكمة ـــ خاصة في الطب والنجوم والفلك والهندسة ـــ وهو أول من راسل ملك الروم يطلب منه كتب الحكمة ؛ فبعث اليه بكتاب اقليدس وبعض كتب الطبيعيات «٢» .

قال المسعودي عند كلامه عن اهتمام ابي جعفر المنصور بترجمة مختلف كتب الحكمة : وكان اول خليفة قرب المنجمين وعمل باحكام النجوم ، وكان معه نوبخت المجوسي المنجم واسلم على يده ، وهو ابو هؤلاء النوبختية ، وابراهيم الفزارى المنجم صاحب القصيدة في النجوم وغير ذلك من علوم النجوم وهيئة الفلك ، وعلي بن عيسى الاسطرلابي المنجم ، وهو اول خليفة ترجمت له الكتب من اللغات العجمية الى العربية ، ومنها كتاب كليلة ودمنة ، وكتاب السند هند ، وترجمت له كتب ارسطاطاليس من المنطقيات وغيرها ، وترجم له كتاب المجسطي لبطليموس ، وكتاب الارتماطيقي ، وكتاب اقليدس ، وسائر الكتب القديمة من اليونانية والرومية والفهلوية والفارسية والسريانية ، وخرجت الى الناس فنظروا فيها وتعلقوا الى عملها «٣» . واما الكتب التي نقلها عبد الله بن المقفع « المتوفى سنة

« ١ » الفهرست: ١٧١

« ٢ » طبقات الاطباء: ١:١٦٣، تاريخ ابن خلدون: ١:٤٠١، كشف الظنون : ٢:٦٧٩

« ٣ » مروج الذهب: ٢:٥١٤، ٥١٥ ، مشاكلة الناس: ٢٣، اخبار العلماء: ١٧٧

١٤٢ هـ = ٧٥٩ م » من الفارسية الى العربية فهي : كتاب « كليلة ودمنة »، وكتاب «خدينامه» في «السير» ، و كتاب « آيين نامه » وكتاب « مزدك » وكتاب « التاج » في سيرة أنوشروان وترجم كتاب « الكيكيين » في اخبار فراسياب و ما كان بينه وبين الترك من الحروب ، ونقل بعض كتب الطب والمنطق التي كان الفرس قد نقلوها الى لغتهم من اليونانية «١» .

وترجم من كتب ارسطاطاليس المنطقية الثلاث هي : قاطاغورياس ، وكتاب بارى ارميناس . وكتاب أنولوطيقيا ، وكتاب ايساغوجي لفرفوريوس الصورى «٢» .

وفي « سنة ١٥٦ هـ = ٧٧٢ م» قدم على الخليفة المنصور رجل من الهند، وكان عالماً بحركات النجوم وحساب السند هند ، ومعه كتاب يبحث في ذلك ، فامر الخليفة بترجمة الكتاب الى العربية وان يؤلف منه كتاب تتخذه العرب اصلا في حركات الكواكب فتولى ذلك محمد بن ابراهيم الفزاري وعمل منه كتاب «السند هند الكبير» وبقي يعمل به الى ايام المأمون «٣» .

ونقل ابويحيى ابن البطريق كتاب الأربع مقالات لبطليموس في صناعة احكام النجوم «٤» .

وترجم على عهده من كتب الهندسة كتاب اقليدس وهو من أجل كتب هذا العلم ، وما الهندسة التي تدرس في مدارسنا الثانوية في هذه الايام الا هندسة اقليدس مع تحوير بسيط وترتيب في النظريات «٥» .

وكان جورجيوس «المتوفي حوالي سنة ١٦٠ هـ = ٧٧٧م» رئيس أطباء جند سابور وطبيب المنصور — عالماً باليونانية والفارسية ، فترجم الكتب الطبية من اليونانية والفارسية الى العربية ، كما الف كناشه في الطب «٦» .

« ١ » الفهرست: ٣٣٧،١١٢، مروج الذهب: ١: ١٤٠

« ٢ » طبقات الامم: ٧٧، طبقات الاطباء: ١: ٢٠٨

« ٣ » طبقات الامم: ٧٨، اخبار العلماء: ١٧٧

« ٤ ،٥ » تراث العرب العلمي: ٨٥

« ٦ » اخبار العلماء: ١٠٩

وسار اولاده على نهجه وانجب اسرة علمية جليلة خدمت الترجمة والطب اجل خدمة .

ولما غزا العرب بلاد الروم ، واستولوا على بعضها ، بذلوا عناية خاصة بعلوم القوم ومعارفهم ، فحافظوا على الكتب التي وقعت بايديهم ، فلم يفعلوا بها مافعله الاسبان عندما استولواعلى نفائس الكتب العربية في الاندلس ، ولا ما فعله التتر والمغول عندما هاجموا البلاد الاسلامية في الشرق ، فان العرب حرصوا كل الحرص على ماوقع بأيديهم منها ، وخاصة كتب الحكمة ، وعنوا بها عناية فائقة .

ولما احتل الخليفة هارون الرشيد مدينتي عمورية وأنقرة امر بالمحافظة على مكاتبها . وانتدب العلماء والتراجمة من بغداد لأختيار الكتب القيمة منها ، والتي يندر وجودها عند غيرهم من الامم ، فاختاروا الكتب النفسية النادرة في الطب والفلسفة والفلك ، ونقلوها الى بغداد ، وولي هارون الرشيد امر هذه الكتب يوحنا بن ماسويه « المتوفى سنة ٢٤٣ هـ =٨٥٧ م » اكبر أطباء عصره ، وجعل له من يساعده بترجمتها «١».

وفي ايامه نقل الحجاج بن مطر كتاب اقليدس وهو أول نقل كان لهذا الكتاب الى العربية ، وتسمى الترجمة الهارونية ، تمييزا لها عن الترجمة المأمونية .

واهتم يحيى بن خالد البرمكي بترجمة كتاب المجسطي الى العربية ، فقام بذلك عدة علماء ، ولم يتوفقوا بترجمته كما يجب ، فعرضت على عالمين من علماء بيت الحكمة وهما أبو حسان وسلم فصححا الترجمة ، وفسرا ماغمض من المصطلحات ، فكانت ترجمة حسنة «٢» .

وكان منكة الهندى — طبيب الخليفة هارون الرشيد — ينقل الكتب من الهندية الى الفارسية والعربية ،ونقل عدة كتب تبحث فيالطبعلى مذهب اهل

« ١ » اخبار العلماء: ٢٤٩ ،عيون الا نباء: ١ : ١٧٥ ، كشف الظنون: ٢ : ٦٨١ ، طبقات الا طباء والحكماء: ٦٥

« ٢ » اخبار العلماء: ٦٩

الهند . ونقل ابن دهن «الذى كان يشرف على بيمارستان البرامكة عدة كتب في الطب» . «١»

ولما أفضت الخلافة الى عبد الله المأمون الخليفة العالم « ١٩٨ – ٢١٨هـ = ٨١٣ – ٨٣٣ م » وجه همه الى الترجمة والتأليف ، فترجمت له كتب الحكمة المختلفة . وكان كثير الاهتمام بها ، خاصة في كتب الفلسفة والمنطق ، ذلك لانه كان يرى رأي المعتزلة ، وهم من اكبر مؤيدي الرأي ، وتحكيم العقل في الامور الدينية ، وكان المأمون واسع العلم ، حر الفكر ، يميل الى القياس ، لذا كان يرغب بترجمة كتب المنطق والفلسفة لانه يجد له منهما خير معين على تحكيم العقل ، فترجمت معظم كتب ارسطو – على عهده – وتولد عند المسلمين علم الكلام .

ووصف القاضي أبو القاسم أحمد بن صاعد الاندلسي ماكانت عليه الحركة العلمية في عصر المأمون فقال : ثم لما افضت الخلافة الى الخليفة السابع عبد الله المأمون ، تمم مابدأ به المنصور ، فاقبل على طلب العلم في مواضعه ، واستخرجه من معادنه ، بفضل همته الشريفة ، وقوة نفسه الفاضلة ، فداخل ملوك الروم واتحفهم بالهدايا الخطيرة ، وسألهم صلته بما لديهم من كتب افلاطون وارسطاطاليس وابقراط وجالينوس واقليدس وبطليموس ، وغيرهم من الفلاسفة ، فاستخار لها مهرة التراجمة ، وكلفهم احكام ترجمتها ، فترجمت له على غاية ماامكن ، ثم حض الناس على قراءتها ، ورغبهم في تعلمها ، فنفقت سوق العلم في زمانه ، وقامت دولة الحكمة في عصره ، وتنافس اولوا النباهة في العلوم ، لما كانوا يرون من احضائه لمنتحليها ، واختصاصه لمقلديها ، فكان يخلو بهم ويأنس بمناظرتهم ويلتذ بمذاكراتهم ، فينالون عنده المنزلة الرفيعة ، والمراتب السنية ، وكذلك كانت سيرته مع سائر العلماء والفقهاء والمحدثين والمتكلمين ، وأهل اللغة والاخبار والمعرفة بالشعر والنسب ، فاتقن جماعة من ذوى الفنون والتعلم في أيامه كثيراً من اجزاء

« ١ » الفهرست : ٣٤٢ ، عيون الانباء : ٢ : ٣٣ .

الفلسفة ، وسنوا لمن بعدهم منهاج الطلب ، ومهدوا أصول الادب . حتى كانت الدولة العباسية تضاهي الدولة الرومية أيام اكتمالها ، وزمان اجتماع شملها «١» .

واخذ المأمون يسعى بشتى الطرق للحصول على كتب الحكمة المختلفة : فكان يرسل العلماء واهل الرأى الى بلاد الروم وغيرها ، لكي يفتشوا عن الكتب النادرة . ويرغبوا أصحابها ببيعها ، فجمعوا منها كل نفيس ونادر «٢».

والناس على دين ملوكهم ، فسافرت عدة بعثات علمية الى بلاد الروم ، لتحصيل الكتب المختلفة من طب وفلسفة ونجوم ومنطق وموسيقى وهندسة وغيرها .

وممن سافر الى هذه الغاية النبيلة هم : اولاد موسى بن شاكر ، فانهم اتعبوا أنفسهم في طلب الكتب النفيسة ، وصرفوا مبالغ طائلة للحصول عليها ، فحصلوا على كتب نادرة منها .

كما انهم ارسلوا علماء أعلام لهذه الغاية ، فأحضروا لهم الغرائب منها ، واستدعوا النقلة من مختلف الاقطار ، ورغبوهم بالبذل الكثير ، فترجموا لهم غرائب الحكمة وكان الغالب عليهم : الهندسة والحيل والحركات والموسيقى والنجوم . ولهم كتاب في علم الآلات الحربية «٣» .

وممن كان يترجم لبني موسى بن شاكر : حنين بن اسحق ، وحبيش بن الحسن الاعسم ، وثابت بن قرة ، ولهم اجراء في الشهر قدره خمسمائة دينار على النقل والترجمة «٤» .

وثابت بن قرة بن مروان الحراني الصابي «٢٣٣ – ٢٨٨ ه = ٨٤٥– ٩٠٠ م» هو الذي اصطحبه محمد بن موسى بن شاكر الى بغداد ، لما انصرف من بلاد الروم ، وادخله في جملة المترجمين والمنجمين ، فترجم هذا كتباً

«١» طبقات الامم: ٧٦،٧٥ .

«٢» طبقات الاطباء: ٦٧ .

«٣» ، «٤» الفهرست: ٣٧٩،٣٧٨، اخبار العلماء: ٢٠٨،٨١،٢٤ .

في النجوم «١» .

وممن دخل بلاد الروم لتحصيل كتب الفلك والنجوم للخليفة المأمون ، هو يحيى بن أبي منصور المنجم المأموني ، وهذا احد علماء «بيت الحكمة» فتوغل في بلاد الروم ، وجمع نفائس الكتب التي تبحث في ذلك «٢» .

وسافر قسطا بن لوقا البعلبكي الى بلاد الروم ، وحصل الكثير من ، تصانيفهم ، وعاد الى الشام . ثم استدعي الى بغداد ، ليترجم الكتب من اليونانية الى العربية ويذكر عنه ابن النديم : انه كان يقدم على حنين لفضله ونبله ، وتقدمه في صناعة الطب ، وكان بارعاً في علوم كثيرة منها : الطب والفلسفة والاعداد والموسيقى ، فصيحاً باللغة اليونانية ، جيد العبارة بالعربية ، لذا عهد اليه بترجمة كتب عديدة ، فكان من التراجمة المعدودين الذين يعول عليهم «٣» .

ودخل بلاد الروم حنين بن اسحق العبادى «١٩٤ — ٢٦٠ هـ = ٨٠٩— ٨٧٣ م» وجد في تحصيل كتب الحكمة ، وبذل غاية امكانه في ذلك ، كما أنه اغتنم فرصة وجوده في بلادهم ، فتعلم اللغة اليونانية وأحكمها ، وعاد الى بغداد ومعه تحف نادرة من كتب الحكمة ، ولازم بني موسى بن شاكر ورغبوه بنقل الكتب الى العربية .

كان حنين أحد أعاظم العلماء الذين خدموا كتب الحكمة ، بما نقله منها وألفه فيها ، فترجم عدة كتب لجالينوس وأبقراط وديقوريدس ، وترجم جمهورية أفلاطون والمقولات والطبيعيات والخليقات لارسطو ، وترجم جميع مؤلفات جالينوس العلمية الى السريانية ثم العربية ، وترجم كتاب العهد القديم من اليونانية ، فكان المأمون يعطيه من الذهب زنة ماينقله من الكتب .

وصار لحنين مدرسة للترجمة ، يشتغل تحت يده عدد من علماء عصره

« ١ » ، « ٢ » الفهرست : ٣٨٠، ٣٨٤، اخبار العلماء : ٧٠–٨١ ، ٢٣٤، طبقات الحكماء: ٥٧ .
« ٣ » الفهرست : ٤١٠–٤١١ ، اخبار العلماء : ١٧٣ ، ٢٤٠ .

ويترجم بعضهم من اليونانية الى السريانية . ثم يترجمها غيرهم الى العربية ويترجم بعضهم من اليونانية الى العربية .

وممن كان يترجم بين يديه : حبيش بن الحسن الاعسم ، وهو أحد تلاميذه وكان حنين يقدمه ويعظمه ، ويفضل نقله . وكان يترجم من اليونانيةوالسريانية الى العربية .

وكذا عيسى بن يحيى بن ابراهيم ، وهو من تلاميذ حنين ايضاً ، كان من النقلة المجيدين . واصطفن بن بسيل ، وموسى بن خالد الترجماني ، ويحيى بن هارون وغيرهم «١» .

وكان أبنه أسحق بن حنين «المتوفي سنة ٢٩٨ هـ = ٩١٠ م» لايقل عن أبيه في النقل من اليونانية والسريانية الى العربية، وله نقول وتآليف «٢» .

وبلغ من شغف المأمون بكتب الحكمة والفلسفة : أنه اذا ماعقد معاهدة مع بعض ملوك الروم ، فأنه كان يشترط عليه أن يرسل اليه من نفائس كتب الحكمة التي في بلاده ، والتي يندر وجودها عند غيرهم من الامم .

ومن ذلك : انه جعل أحد شروط معاهدة الصلح بينه وبين ميخائيل الثالث — قيصر الروم — أن ينزل الثاني للاول عن احدى المكتبات الشهيرة في القسطنطينية ، كان بين ذخائرها الثمينة كتاب بطليموس في الفلك ، فأمر المأمون بنقله الى العربية وسماه «المجسطي» «٣» .

وهادن المأمون صاحب قبرص ، واشترط عليه ان يرسل اليه من كتب الحكمة ، وخاصة كتب ارسطاطاليس . وقد حدثنا القفطي عن هذا فقال :

ان المأمون راسل ملك الروم وكان قد استطال عليه واذل دين الكفر ، وطلب منه كتب الحكمة من كلام ارسطاطاليس ، فطلبها ملك الروم ، فلم يجد لها في بلاده اثراً ، فاغتم بذلك وقال : يطلب مني ملك المسلمين علم سلفي من يونان فلا اجده ، أي عذر يكون لي ؟ أم أية قيمة تبقى لهذه الفرقة

«١، ٢، ٣» الفهرست: ٤٠٩، ٤١٠، ٤١٤ ، اخبار العلماء: ١١٧-١١٨، عيون الانباء: ١:١٨٦، تاريخ العرب- لحتي : ١١٩ ، ١٢٠ ، خزائن الكتب: ١:٤٨ ، طبقات الاطباء: ٦٨-٧٢ .

الرومية عند المسلمين ؟ وأخذ في السؤال والبحث ، فحضر اليه أحد الرهبان المنقطعين في بعض الاديرة النازحة عن القسطنطينية وقال له : عندي علم ماتريد ، وقال له : ادركني ، فقال : ان البيت الفلاني في موضع كذا الذي يقفل كل ملك عليه قفلا اذا ملك مافيه ، قال فيه — على مايقال — مال الملوك المتقدمين ، وكل ملك يجيء يقفل عليه حتى لا يقال أحتاج الى مافيه لسوء تدبيره ففتحه ، فقال له الراهب : ليس الامر كذلك وانما في ذلك الموضع هيكل كانت يونان تتعبد به قبل به استقرار ملة المسيح ، فلما تقررت ملته بهذه الجهات في أيام قسطنطين بن اللانة « هيلانة » جمعت كتب الحكمة من أيدي الناس ، وجعلت في ذلك البيت ، واغلق بابه ، وقفل الملوك عليه اقفالا — كما سمعت — فجمع الملك مقدمي دولته ، وعرفهم الامر ، واستشارهم في فتح البيت : فاشاروا عليه بذلك ، فاستشار الراهب في تسييرها — اذا وجدت — الى بلد الاسلام ، وهل عليه في ذلك خطر في الدنيا أو اثم في الاخرى،فقال له الراهب:سيرها فانك تثاب عليه،فانها ما دخلت في ملة الا وزلزلت قواعدها ؛ فسار الى البيت وفتحه ، ووجد الامر فيه كما ذكر الراهب ، ووجد فيها كتباً كثيرة ، فاخذوا من جانبها — بغير علم ولا فحص — خمسة احمال ، وسيرت الى المأمون ، فأحضر لها المترجمين فاستخرجوها من الرومية الى العربية ، ثم تنبه الناس بعد ذلك على تطلبها — بعد المأمون — وتحيلوا الى ان حصلوا منها الجملة الكثيرة . وهذه الكتب من اعظم مادخل خزانة المأمون من كتب الحكمة «١» .

وان المأمون لم يكتف بهذه الكتب ، بل انه فاتح ملك الروم مرة ثانية ، يسأله ان يسمح لجماعة من العلماء ، ان يشتروا من كتب الحكمة مايجدونه في بلاد الروم ، لكي يضيفها الى خزانة كتبه ، وان ملك الروم اجاب الى ذلك — بعد امتناع — فارسل المأمون بعثة علمية لهذا الغرض منهم : الحجاج بن مطر ، وابن البطريق ، وسلم صاحب بيت الحكمة ، فاخذوا مما اختاروه

« ١ » اخبار العلماء: ٢٣ .

عدداً كبيراً ، وحملوها الى بغداد ، فأمرهم المأمون بنقلها الى العربية ، وهكذا اجتمع عند المأمون طائفة كبيرة من كتب: الحكمة والفلسفة والمنطق والموسيقى والنجوم وغيرها .

جاء عن المأمون في الاخبار الطوال : «١» فانه اخذ من جميع العلوم بقسط . وضرب فيها بسهم ، وهو الذي استخرج كتاب اقليدس من الروم وامربترجمته وتفصيله ، وعقد المجالس في خلافته للمناظرة في الاديان والمقالات : وكان استاذه ابا الهذيل محمد بن الهذيل العلاف .

وجاء في كشف الظنون عند كلامه عن المأمون واهتمامه بعلوم الحكمة قال : وجاء المأمون — من بعد ذلك — وكانت له في العلم رغبة ، فاوفد الرسل الى ملك الروم ، في استخراج علوم اليونان ، واستنساخها بالخط العربي ، وبعث المترجمين لذلك ، فاوعى منهم واستوعب ، وعكف عليها النظار من اهل الاسلام ، وخدموا في فنونها ، وانتهت الى الغاية انظارهم فيها، وخالفوا كثيراً من آراء المعلم الاول ، واختصوه بالرد والقبول ، ودونوا في ذلك الدواوين «٢» — فلا ندرى هل ان هذه البعثة التي ارسلها المأمون ، هي التي ذكرها ابن النديم ، ام انها غيرها ؟ وصارت بغداد قبلة العالم الاسلامي في العلوم والمعارف اجتمع فيها علماء اعلام،خدموا التراث الانساني اجل خدمة، بما ترجموه من الكتب النفيسة ، وما الفوه من العلوم المختلفة ، وما ابدوه من آراء ونظريات .

وممن اشتهر في الفلك والرياضيات : محمد بن موسى الخوارزمي ، كان اول من الف في الجبر والمقابلة والحساب ، وكتبه في هذا الباب هي من خيرة ماانتجه الفكر ، وهو الذي مهد للجبر والحساب في كثير من المسائل التي لا تزال تدرس في هذه الايام ، وكان قد جمع هذا بكتاب الفه للخليفة المأمون بناء على طلبه . «٣»

« ١ » ص: ٣٧٨

« ٢ » « ٣ » كشف الظنون: ٢ : ٦٨

« ٣ » تراث العرب العلمي: ٨٠

واشتهر من الفلكيين في عهد المأمون : سند بن علي المنجم المأموني ، كان خبيراً بعمل آلات الرصد ، فندبه المأمون الى اصلاح آلات الرصد الذي كان في الشماسية ببغداد، وله تصانيف في النجوم والحساب والجبر والمقابلة «١».

وممن اشتغل مع سند بن علي في الرصد ، هو العباس بن سعيد الجوهري ، واشتغل ايضاً في رصد دمشق الذي كان المأمون قد اسسه ولـه مؤلفات في الفلك والهندسة . فكان هو وسند بن علي المنجم المأموني . وخالد بن عبد الملك المروروذي ، ويحيى بن ابي منصور ، أول من رصد في الملة الاسلامية «٢».

واشتهر عبد الله بن سهل بن نوبخت بالنجوم والفلك . وكذا أحمد بن محمد بن كثير الفرغاني — أحد منجمي المأمون — وصاحب المدخل الى هيئة الافلاك وحركات النجوم «٣».

واشتهر غيرهم مثل : محمد بن موسى الجليس ، وما شاء الله المنجم ، وعمر بن الفرخان الطبري ، وابو جعفر محمد بن جعفر بن سنان الحراني المعروف بالبتاني . وهو احد المهرة برصد الكواكب ، وأحمد بن عبد الله البغدادي المعروف بحبيش ، كان هذا في زمن المأمون والمعتصم ، وله كتاب في الزيج والاسطرلاب «٤» .

ومن الكتب المهمة التي ترجمت كتاب «الأكر المتحركة» للمهندس اوطولوقس اليوناني ، عرب في زمن المأمون ، ثم اصلحه يعقوب بن اسحق الكندي .

وكتاب «أكرثاوذوسيوس اليوناني» امر بنقله الى العربية الخليفة المستعين بالله أبو العباس احمد بن المعتصم في خلافته ، فتولى نقله قسطا بن لوقاالبعلبكي سنة « ٢٥٠ هـ — ٨٦٤ م » ، واصلحة ثابت بن قرة «٥» .

« ١، ٢ » اخبار العلماء: ١٤٠، ١٤٨، ١٤٩ .

« ٣ » « ٤ » طبقات الامم: ٨٦ ، ٨٨ .

« ٥ » كشف الظنون: ٢ : ٨٧١، ٨٧٢ .

فيقال ان المأمون صرف على الترجمة ثلاثمائة الف دينار ، وكان بنو المنجم يرزقون جماعة من التراجمة خمسمائة دينار في الشهر . وانفق الفتح ابن خاقان مبالغ كبيرة على الترجمة والتأليف واقتناء الكتب ، وكان محمد بن عبد الملك الزيات لا يقل عن الفتح بن خاقان في هذا ، فانه كان يصرف على التراجمة والكتبة مايقارب الفي دينار في الشهر ، وترجمت له عدة كتب باسمه منها : كتاب الصوت الذى نقله حنين . واحمد بن المدبر ، كان ينفق على النقلة والنساخين والمؤلفين من ماله الشيء الكثير ، وكان ابو محمد الحسن بن موسى بن اخت ابي سهل بن نوبخت ، وهو احد الفلاسفة المتكلمين ، ويجتمع اليه جماعة من النقلة لكتب الفلسفة مثل ابي عثمان الدمشقي ، واسحق وثابت ، وغيرهم فينقلون له الكتب وينفق عليهم من ماله . وبيع شرح الاسكندر الأفرودوس للسماع الطبيعي ولكتاب البرهان بثلاثة آلاف دينار «١» .

ولو اردنا تفصيل هذه الحركة العلمية المباركة وما قام به العرب والمسلمون ، لاحتاج الامر الى بحث طويل . وان في مؤلفات : ابن النديم ، والقفطي ، وابن جلجل ، وصاعد الاندلسي ، وابن ابي أصيبعة ، وحاجي خليفة ، تطلع المرء على الجهود الكبيرة التي بذلوها في ترجمة الكتب المختلفة ، واقبالهم الشديد على دراستها وتدبرها ، والتأليف بها . كان هذا بزمن لم تبلغه امه غيرها في عدة قرون ، فاجتمع في خزائنهم ثقافة الشرق والغرب بأقل من قرنين . فكانت بغداد مركز العلم والادب والفن .

ان العرب لم يكتفوا بترجمة الكتب وتفسيرها وتبسيطها ، وابداء آرائهم فيما نقلوه ، بل انهم اخذوا يطبقون العلم على العمل . فصنعوا آلات

«١» الفهرست : ٢٥١ ، اخبار العلماء : ٢٤، ٤١ ، ٩١ ، طبقات الاطباء : ١ :٢٠٦ تاريخ التمدن الاسلامي : ٣ : ١٤٥

الرصد ؛ وانشأوا المراصد في كثير من البلدان . اقدمها المرصدان اللذان امر المأمون بانشائهما . كان احدهما في الشماسية ببغداد ، والثاني بسفح جبل قاسيون بدمشق، وجهز المرصدان بالآت دقيقة . صنعها الفلكيون ، ورصدوا الكواكب ، ودونوا ملاحظاتهم ومشاهداتهم ، فكانت دقيقة الى حد ما .

ويذكرابن النديم : ان آلات الرصد كانت تصنع بمدينة «حران» ثم انتشرت صناعتها في البلاد . واتسع للصناع العمل بها في الدولة العباسية ، كان هذا منذ ايام المأمون.واول من عمل الآلات هو ابن خلف المروروذى، فاقتدى الناس به، ثم انتشرت هذه الصناعة «١» .

وكان العباس بن سعيد الجوهري المنجم يتقن صنع آلات الرصد،فندبه المأمون للاشتغال في رصد الشماسية ببغداد «٢» .

ويحيى بن رستم ابو سهل الكوهي المنجم ، كان عالماً بعلم الهيئة وصنعة آلات الرصد ، متقدماً فيها الى الغاية المتناهية ، طلب اليه شرف الدولة البويهي سنة «٣٧٨ ﻫ = ٩٨٨ م» برصد الكواكب ببغداد ، فبني بيتاً في دار المملكة ، واحكم اساسه وقواعده لئلا يضطرب بنيانه او يجلس شيء من حيطانه ، وعمل فيه آلات رصد استخرجها ورصد الكواكب .

ومهر عدة علماء بصنع الاسطرلاب ، وصنفوا الكتب التي تبحث عن كيفية استعمالها،فكان ابو اسحق ابراهيم بن حبيب الفزارى اول من عمل اسطرلاباً في الاسلام .

وكذا بنو الصباح ، وهم ثلاثة اخوة ، فانهم كانوا يتقنون صناعة الاسطرلاب ، ولهم كتاب برهان صنعة الاسطرلاب «٣» .

ومنهم احمد بن محمد الصاغاني ابو حامد الاسطرلابي «المتوفي سنة ٣٧٩

«١» الفهرست : ٣٩٦ .

«٢» اخبار العلماء: ١٢٨ ، ٢٣٠.

«٣» الفهرست: ٣٨٥.

هـ = ٩٨٩ م» وكان يحكم صناعة الاسطرلاب غاية الاحكام . وصارت آلاته التي يصنعها هي المعول عليها في ايدي الناس ، وتعلم على يده عدة تلاميذ ، كانوا ينسبون اليه ويفخرون بذلك . وزاد الصاغاني اشياء في آلات الرصد القديمة ، واشتغل بالرصد الذى بناه عضد الدولة البويهي «١» .

وقام العرب بعدة تجارب في المساحة التطبيقية ، وقاسوا دائرة نصف النهار ،وكان هذا بأمر الخليفة المأمون ، وعين لهذا العمل لجنتين : احداهما اشتغلت بصحراء سنجار ، والثانية بصحراء «تدمر» وكانت النتيجة عندهما واحدة . ويكفي العرب فخراً ان النتيجة التي توصلوا اليها كانت قريبة لما نعلمه عن طولها ، ويمكن ان نعتبرها بانها ادق نتيجة توصل اليها العلماء قبل العصر الحاضر .

كان هذا بفضل الخليفة المأمون الذي قام فلكيوه – لاول مرة في تاريخ العالم – بعملية علمية ،قاسوا دائرة نصف النهار ،وحققوا بواسطتها محيط الكرة الارضية وقطرها ،وكانوا موفقين في عملهم ،فكانوا أعظم الفلكين في عصرهم . ومن أساتذة العالم بعلمهم الدقيق ، ونتيجتهم التي توصلوا اليها «٢» .

وقام الجغرافيون منهم بعمل مصورات جغرافية كانت في غاية الدقة والاتقان ، ذكر الاستاذ جميل نخلة المدور نقلا عن المسعودي : أن لاحمد النهاوندي كتاباً صور فيه الدنيا كلها للرشيد ، ببحورها وجبالها وأوديتها وأقاليمها وبلدانها وسائر أماكنها . «٣»

وعمل قرة بن قميطا الحراني ، صفة الارض ، وانتحلها ثابت بن قرة الحراني . ويذكر ابن النديم : أنه رأى هذه الصورة في ثياب ديبقي خام باصباغ وقد شمعت الاصباغ «٤» .

«١» اخبار العلماء: ٥٦ .

«٢» ثقافة الهند- السنة الثانية- العدد الثاني .

«٣» حضارة الاسلام في دار السلام: ٢٠٩ .

«٤» الفهرست: ٣٩٧ .

وذكر المسعودي مصوراً كان قد صنع للمأمون ، فقال عند كلامه عن الاقاليم : ورأيت هذه الاقاليم مصورة في غير كتاب بأنواع الاصباغ . واحسن مارأيت من ذلك ، في كتاب جغرافيا لمارينوس ، وتفسير جغرافيا قطع الارض ، وفي الصورة المأمونية التي عملت للمأمون ، اجتمع على صنعتها عدة من حكماء أهل عصره ، وصور فيها العالم بأفلاكه ونجومه ، وبره وبحره،وعامره،وغامره،ومساكن الامم والمدن ، وغير ذلك . وهي أحسن مما تقدمها ، من جغرافيا بطليموس وجغرافيا مارينوس وغيرها «١» .

وذكر الزهري في مقدمة كتابه عنها : أما بعد حمد الله تعالى ، فاني نسخت هذه الجغرافيا من نسخة نسخت من جغرافية الفزاري، التي نسخت من جغرافية أمير المؤمنين عبد الله المأمون بن هارون الرشيد ، التي أجتمع عليها وعلى عملها سبعون رجلا من فلاسفة العراق ، فوضعوها على صفة الارض — وان كانت على غير الحقيقة من ذلك — لان الارض كورية ، والجغرافيا بسيطة ، لكنهم بسطوها كما بسطوا الاسطرلاب ، وكما بسطوا هيئآت الكسوف في دواوينهم ، ليعلم الناظر فيها جميع أجزائها وأسقاعها ، وحدودها وأقاليمها وبحارها وأنهارها وجبالها ، ومعمورها وقفرها ، وحيث تقع كل مدينة من مدائنها في شرقها وغربها ، وينظر الناظر مكان أعاجيبها وما في كل جزء من الاعاجيب المشهورة ، والمباني الموصوفة بالقدم في اقطارها «٢».

وكان أبو الحسن عبد الرحمن بن عمر الصوفي — خادم عضد الدولة البويهي — من أكابر المنجمين ، وألف كتاب الكواكب مصوراً ،

وكان أبو يوسف يعقوب بن أسحق الكندي الفيلسوف العربي «المتوفى سنة ٢٦٠ هـ = ٨٧٣ م» في طليعة العلماء وأحد أقطاب هذه الحركة العلمية المباركة ، ويعد في الرعيل الاول بين العلماء الذين تناولوا مختلف العلوم ، وشتى المواضيع : في الكيمياء والطب والموسيقى والفلك والمنطق والرياضة

«١» التنبيه والاشراف: ٣٠ ، ٣١ .

«٢» الجغرافيه: ص :١ .

والطبيعيات والالهيات ، فكان فاضل دهره ، وواحد عصره في معرفة العلوم القديمة . ونقل الكثير من اليونانية والفارسية والهندية والسريانية ، وكان له يد طولى في توجيه الثقافة ، وتذليل عويصها في القرن الثالث للهجرة «التاسع للميلاد» .

ويمتاز الكندي باطلاعه الواسع على اللغات التي ترجم عنها . وتمكنه من ابداء المعنى بدقة وامعان ، حتى كان احد اعلام الترجمة في الاسلام ، كما قال عنه ابو معشر : «حذاق الترجمة، في الاسلام اربعة : حنين بن اسحاق، ويعقوب بن اسحاق الكندي ، وثابت بن قرة الحراني، وعمر بن الفرخان الطبري» .

واتحف المكتبة العربية بكتب عديدة بين مترجم ومنقح ومهذب ومؤلف فهو من علماء العرب والمسلمين ، الذين مهدوا لطرق العلم ، وحلوا ماأشكل منه .

وقد وصفه ابن جلجل بقوله «انه ترجم من كتب الفلسفة الكثير ، واوضح منها المشكل ، ولخص المستصعب ، وبسط العويص» .

وهكذا كان الكندي من مفكري العرب ، الذين يسروا العلوم لمن اتى بعدهم «١» .

واشتهر عدد من الاطباء بترجمة كتب الطب ، وخدموا المكتبة العربية اجل خدمة بما ترجموه والفوه من الكتب الطبية منهم : يوحنا بن ماسويه ، وآل بختيشوع ، وعيسى بن الحكم ، وزكريا الطيفوري ، وحبيش بن الحسن الاعسم ، وصالح بن بهلة الهندي . وجبرائل الكحال ، والحجاج بن يوسف بن مطر ، ويعقوب بن اسحاق الكندى ، وغيرهم كثير .

ومما يجدر ذكره ، ان المأمون كان يحرص على الاحتفاظ بكل اثر نفيس يعثر عليه ، فيستدعي العلماء لفحصه وترجمته ودراسته ، ومن ذلك :

«١» الفهرست : ٣٥٧–٣٦٥، طبقات الاطباء: ٧٣، ٧٤ ، عيون الانباء: ١: ٢٠٦ ، ٢١٥، ٢٤٠–٢٤٧

كان المأمون في مصر ، وعثر في مدينة اخميم على رسالة السر في الكيمياء لهرمس «كانت تحت لوح مرمر في قيد قبة « في قبة فيها »امرأة ميتة تامة الخلق ، ضفائرها ممدودة الى رجليها ، وعليها سبع حلل مذهبة، ولها كلها زر واحد – اى قميص من ذهب – وحولها اسرة صغار ،عليها اموات في هيئة الصبيان . وهذه الرسالة تحت رأسها ، في لوح من ذ هب، شبيه بالكتف العظيمة بسواد بخط غريب ، ولما علم بها الخليفة المأمون، استدعى العلماء لقراءتها وترجمتها ، فقرأها رجل من حمير ، كان عالماً بالمسانيد . وفسرت له مع المزامير التي فسرت «١» .

وخلاصة القول : ان العرب ترجموا الى لغتهم اكثر كتب العلوم التي سعوا بالحصول عليها ، من : طب وفلسفة ونجوم ورياضيات ومنطق وفلك وفلاحة وصناعات وتاريخ وادب وملل . وغيرها «٢». فاخذو من كل امة احسن ماعندها من علوم وفنون وآداب وصناعات .

كان التراجمة من ملل ونحل مختلفة : فيهم المسلمون ، وفيهم النصارى من السريان واليعاقبة ، وفيهم الصابئة عبدة الكواكب : وفيهم الانباط والبراهمة والمجوس واليهود وغيرهم .

وكان الخلفاء ومحبو العلم يقبلون عليهم ، ويجزلون لهم العطاء، ويرغبونهم بشتى الطرق لكي يستفيدوا منهم في الترجمة ، وشرح الكتب العلمية التي يترجمونها ، ووضع الاصطلاحات لها ، ولم يكن اهتمام الخلفاء مقصوراً على الحكمة والفلسفة والعلوم العقلية فقط ، بل كانوا يهتمون بالآداب والتاريخ والفقه والكلام وايام العرب واخبارها ، فكانوا يعقدون المجالس العلمية ويشاركون فيما يدور بها من العلوم والآداب والمعارف. وخاصة الخليفة المأمون – عالم بنى العباس وحكيمها – فأنه كان يشارك في علوم كثيرة ، وله مجالس علمية يعقدها في قصره يشارك فيها اجل العلماء ،ويحضرها الخليفة ، ويشارك فيما يدور بها من مباحث مختلفة ، يجلس مع الجالسين

«١» «٢» كشف الظنون: ٢: ٨٧١ ، ٨٧٢ ، ٢: ٦٧٦ ، ٦٨٢

كأحدهم بغير تمييز او عناية ، فيتكلم العلماء بكل حرية وصراحة فيما يبدو لهم . روى طيفور عن يحيى بن اكثم قال :

لما دخل المأمون بغداد ، وقر بها قراره ، أمر ان يدخل عليه من الفقهاء والمتكلمين واهل العلم جماعة يختارهم لمجالسته ومحادثته ، وكان يقعد في صدرنهاره على لبود في الشتاء ، وعلى حصير في الصيف ، ليس معها شيء من سائر الفرش، وكان مجلس الفقهاء الذين اختارهم يحيى بن اكثم للمناظرة في حضرة المأمون يعقد كل يوم ثلاثاء من كل اسبوع «١» .

«١» بغداد — ٣٦

بيوت الحكمة

بيت الحكمة في بغداد

وبيت الحكمة الذي اسسه العباسيون ببغداد ، هو اول بيت حكمة عرف عندالمسلمين ، كما كان اعظمها شأناً ، لما يحتويه من الكتب النفسية في شتى العلوم والمعارف بمختلف اللغات. والنصوص التي وقفنا عليها — عن هذه المؤسسة الثقافية — لا تساير الباحث ، بل نجدها متفرقة في بعض المصادر ، ذكرت عرضاً ، ومن الصعب ان نقف على اخبارها بصورة متسلسلة .

والذي نراه ان اول امره كان في خلافة ابي جعفر المنصور «١٣٥ — ١٥٨ هـ = ٧٥٢ — ٧٧٤ م» فقد مربنا انه ترجمت له كتب في الطب والنجوم والهندسة والآداب ، كما الفت له بعض الكتب في الحديث والتاريخ والادب. فجمع المنصور هذه الكتب في خزانة كانت النواة «لبيت الحكمة». وكان المنصور شديد الحرص على هذه الكتب ، وأوصى بها الى ابنه وولي عهده محمد المهدي «١». وكان المهدي قليل العناية بكتب الحكمة ، خاصة بعد انتشار حركة الزنادقة ببغداد ، فانه شدد عليهم ، وقضى اكثر خلافته في تقصي اخبارهم ، والقضاء على دعاة هذه الحركة الهدامة ، ونكل بهم شر تنكيل ، فضعفت حركة الترجمة على عهده ، وتجنب العلماء ترجمة كتب الحكمة والفلسفة والنجوم ، والكتب التي تبحث في الملل والنحل والأهواء والمعتقدات. فلم تتوسع خزانة الحكمة في عهده .

ولما جاء الخليفة هارون الرشيد «١٧٠ — ١٩٣ هـ = ٧٨٦ — ٨٠٨م» وكان كثير الاهتمام بعلوم الحكمة ، وترجمة كتبها من اللغات المختلفة الى اللغة العربية ، فاضاف الى خزانة جده المنصور ، ما اجتمع عنده من الكتب المترجمة والمؤلفة ، فتوسعت الخزانة وصارت عدة خزانات — اقسام — لكل منها من يقوم بالاشراف عليها ، ولها تراجمة يتولون ترجمة الكتب المختلفة الى العربية ، ونساخون يشتغلون بنسخ الكتب التي تترجم ، والتي تؤلف للخزانة ، ولها مجلدون يجلدون الكتب ، ويعنون بزخرفتها وتزويقها .

«١» خزائن الكتب في الخافقين: ١: ٩٩

وهكذا صار في بيت الحكمة دوائر علمية منوعة،لكل منها علماؤها وتراجمتها،ومشرفون يتولون امورها المختلفة .

كان يوحنا بن ماسويه «المتوفى سنة ٢٤٣ هـ = ٨٥٧م» يتولى الكتب التي امر الرشيد بنقلها من عمورية وانقرة،عندما غزا بلاد الروم،وجعله الرشيد اميناً على الترجمة – واكثرها كانت من كتب الطب – وعين له الرشيد كتاباً حذاقاً يعملون بين يديه،ويساعدونه في عمله.وخدم بعده الأمين والمأمون وبقي الى ايام المتوكل . «١»

قال القفطي : كان يوحنا من اجل علماء عصره،متضلعاً في الترجمة، عالماً بالعلوم التي يقوم بترجمتها،كما كان يعقد مجلساً للنظر،ويعمر ذلك المجلس بعلم هذا الشأن أتم عمارة،ويجرى فيه من كل نوع من العلوم القديمة بأحسن عبارة،واجتمع اليه اهل العلوم والأدب،وكان يجتمع اليه تلاميذ كثيرون . «٢»

فنجد مما تقدم: ان يوحنا كان على جانب من العلوم المختلفة،وكان يحاضر بهذه العلوم،ويجتمع اليه تلاميذ كثيرون،يأخذون عنه ويدرس عليه بعضهم ما يرغب به من العلوم .

وممن كان يشتغل في بيت الحكمة للرشيد،فيترجم من الفارسية الى العربية، ابو سهل الفضل بن نوبخت الفارسي،وهو من أئمة المتكلمين،كان متضلعاً باللغتين الفارسية والعربية.ومعوله في علمه على كتب الفرس،وله عدة مؤلفات بعلوم مختلفة.عهد اليه بترجمة كتب الحكمة من الفارسية الى العربية. «٣»

وكان علان الوراق الشعوبي ينسخ في بيت الحكمة للرشيد،ومن بعده للمأمون .«٤»

ولما تولى الخلافة عبدالله المأمون «١٩٨ – ٢١٨ هـ = ٨١٣ – ٨٣٣م»

« ١ » « ٢ » اخبار العلماء: ٢٤٩، طبقات الاطباء: ٦٧

« ٣ » الفهرست: ٣٨٢ ، اخبار العلماء: ١٦٩

« ٤ » الفهرست: ١٥٤ ، معجم الادباء: ١٢: ١٩١

وكان شغوفاً بعلوم الحكمة، وجه همه الى توسيع دوائرها المختلفة، فارسل في طلب كتبها من مختلف الأقطار، واجتمع لديه عدد كبير منها، واختار لها المترجمين من اللغات المختلفة: اليونانية والسريانية والفارسية والعبرية والقبطية والهندية والحبشية، فتوسع بيت الحكمة وازداد عدد كتبه بما يضاف اليه من الكتب المختلفة، التي يؤتى بها من آسيا الصغرى والقسطنطينية، وجزيرة قبرص، وما كان يجمعه السريان من كنائسهم واديرتهم، في الشام وبلاد الجزيرة، وعهد بأمر هذه الكتب الى اجل العلماء وافصحهم .

فكان سهل بن هارون بن رامنوي الدستمياني – وهو من البلغاء الفصحاء الحكماء – فارسي الأصل، شعوبي المذهب، شديد العصبية على العرب، ومن المختصين بخدمة الخليفة المأمون، فجعله اميناً على كتب الحكمة التي ارسلت اليه من جزيرة قبرص، وصنف للمأمون كتاب «ثعلة وعفرا» يعارض به كتاب كليلة ودمنة، في ابوابه وامثاله، ويزيد عليه في نظمه. «١»

وكان سعيد بن هارون شريكاً لسهل في بيت الحكمة، ويقوم بترجمة الفلسفة، وهو من البلغاء الفصحاء، المترسلين، الذين يعول عليهم في مثل هذا العمل الخطير. «٢»

وكان سلم اميناً على الكتب التي نقلت الى المأمون من القسطنطينية، ارسله لأختيار الكتب والاشراف على نقلها الى بغداد، ثم صار ينقل مع سهل بن هارون من الفارسية الى العربية، «٣» وكان يوحنا بن البطريق الترجمان – مولى المأمون – اميناً على ترجمة الكتب الفلسفية من اليونانية الى العربية، فتولى ترجمة كتب ارسطوطاليس وابقراط في الفلسفة وغيرها. «٤»

وكان ابو جعفر محمد بن موسى الخوارزمي، منقطعاً الى خزانة الحكمة للمأمون، وهو من اصحاب علم الهيئة وصاحب الزيج المعروف «بالسند هند»، وله مؤلفات بها وبالجبر والمقابلة، وكتاب العمل بالاسطرلاب، ومن مؤلفاته

« ١ ، ٢ ، ٣ » الفهرست: ١٧٤ ، ١٨٢ ، مروج الذهب: ١:٤٨

« ٤ » اخبار العلماء: ٢٤٨ ، ابن العبري: ٣٢٩

كتاب الجبر والمقابلة، وكتاب العمل بالاسطرلاب، وهو احد العلماء الرياضيين الذين خدموا بيت الحكمة، بما الفوه من الكتب المختلفة في الرياضيات والهيئة«١»
وكان بنو موسى بن شاكر، من انشط العناصر التي كانت في بيت الحكمة وهم ثلاثة، اخوة: محمد واحمد والحسن، وعرف ابناؤهم – فيما بعد – ببني موسى المنجم.
كان ابوهم قد خدم المأمون، فتوفي وهم صغار، فاوصى المأمون بهم اسحاق بن ابراهيم المصعبي، ان يثبتهم مع يحيى بن ابي منصور المنجم، في بيت الحكمة، فلازموا التعلم بها، فشبوا مولعين بعلوم الحكمة والهندسة والفلك، والحيل والحركات والفلسفة، ولما علا شأنهم اثبتوا في بيت الحكمة مع العلماء والمترجمين، فكانوا يتولون دائرة العلوم الرياضية والهيئة والهندسة والنجوم والحيل والموسيقى، واشتهر اكبرهم ابو جعفر محمد بن موسى «المتوفى سنة ٢٥٩ هـ = ٨٧٢ م» فكان يشرف على ما يترجم من كتب الجبر والمقابلة لبيت الحكمة، وله كتاب يعملون بين يديه، وتراجمة يترجمون الكتب التي يختارها، وممن كان يساعده في عمله هذا يحيى بن ابي منصور الموصلي المنجم، وكان احد خزنة بيت الحكمة واحد الرصاد.
وكان احمد بن موسى بن شاكر، متفوقاً في صناعة الحيل، لايدانيه احد في ذلك، واشتهر بكتابه الذي الفه في الحيل، وبقسمة الدائرة الى ثلاثة اقسام متساوية«٢».
وكان عمر بن الفرخان الطبرى، احد رؤساء الترجمة والمحققين بعلم حركات النجوم وأحكامها، استدعاه الفضل بن سهيل – وزير المأمون – ووصله بالخليفة المأمون، فترجم له كتباً كثيرة وألف كتباً كثيرة في النجوم وغيرها من فنون الفلسفة «٣».
وكان حنين بن اسحاق فصيحاً في اللسان اليوناني، واللسان العربي وهو احد تلامذة الخليل بن احمد الفراهيدي، وعلى جانب من العلم، اشتغل في بيت الحكمة فترجم هو ومن كان يعمل بين يديه كتباً عديدة كانت على غاية الاهمية العلمية في الطب والفلسة والمنطق، وكانت دائرته التي يرأسها في بيت

«١» الفهرست: ٣٨٣، اخبار العلماء: ١٨٧، ١٨٨
«٢» الفهرست: ٣٧٨، ٣٧٩، اخبار العلماء: ٢٨٧
«٣» طبقات الامم: ٧٨،

الحكمة لا تقل أهمية عن دائرة ابناء موسى — الذين تقدم ذكرهم — «١» بما اضافوه اليه من الكتب. كان هذا في زمن الخليفة المتوكل العباسي «٢٠٦– ٢٤٧ هـ = ٨٢١ – ٨٦١ م » وكان اسحاق بن حنين «المتوفى سنة ٢٩٨ هـ = ٩١٠م» ممن يشتغل بترجمة كتب الطب والفلسفة للمأمون، ومن اجل اعماله: انه نقل كتاب ارشميدس الى العربية، وهو النقل الذي سمى بالمأموني، واصلح النقل ثابت بن قرة الحراني، فكان من اصح النقول. «٢»

ونقل حبيب بن بهريز — مطران الموصل — للمأمون عدة كتب الى العربية، كما الف له — او نقل عن اليونانية — كتاباً في اخبار ملوك اليونان. «٣»

فاجتمع في بيت الحكمة نخبة مختارة من العلماء، والاطباء، والفلكيين واصحاب الصناعات والحيل، وترجموا مختلف الكتب التي تبحث في شتى العلوم والفنون والمعارف والصناعات، وبلغ بيت الحكمة منتهى التقدم على عهد المأمون .

وكان في بيت الحكمة ما الفه العلماء والادباء في اللغة والتاريخ والفقه وعلم الكلام والملل والنحل، وبعض هذه الكتب الفت بطلب من الخلفاء أنفسهم لكي توضع في بيت الحكمة .

قال الاصمعي : كان هارون الرشيد الامام اذا نشط يرسل الي، فكنت احدثه بحديث الامم السالفة، والقرون الماضية، فبينما انا احدثه ذات ليلة، فقال: يا اصمعي اين الملوك وابناء الملوك؟ قلت: يا امير المؤمنين مضوا لسبيلهم، فرفع يديه الى السماء ثم قال: يا مفني الملوك ارحمني يوم: تلحقني بهم، ثم دعا صالحاً صاحب مصلاه، فقال: انطلق الى صاحب بيت الحكمة، فمره ان يخرج اليك سير الملوك وائتني به. فاخرج اليه الكتاب، قال: فامرني ان أقرأه عليه، فقرأت منه تلك الليلة ستة أجزاء و . . . . ثم اوصاه الخليفة بالذهاب الى ابي البختري، للاستعانة به في كتابة ما كان بين آدم وسام بن نوح، ولم يكن هذا مدوناً في سير

« ١ » « ٢ » اخبار العلماء: ٤٧ ، ٥٧ ، ١١٧ ، ١٢٢ ، تاريخ العرب — لحتي: ١١٧–١٢٠ طبقات الاطباء: ٦٤ ، ٦٨

« ٣ » الفهرست: ٣٤١

الملوك،الذي يبدأ بسام بن نوح،فذهب اليه واخبره بما امر به امير المؤمنين، فاخذا كتاب المبتدأ ونسخا منه هذا الجزء،ونسقاه وجعلاه في عشرة اوراق، قدمت على سير الملوك. «١»

فنرى مما تقدم: ان الاصمعي كان يؤلف في التاريخ،وانه اكمل كتاباً كان في بيت الحكمة،وكان ذلك بامر من امير المؤمنين هارون الرشيد .

ومن الكتب التي استعان بها الاصمعي في اكمال كتاب سير الملوك، هو كتاب «المبتدأ» الذي كان في خزانة بيت الحكمة،وهو مما عمل في الاصل للخليفة عبد الملك بن مروان،الفه ثلاثة اشخاص هم: الشعبى،وابن القرية، وابن المقفع .

وجاء ايضاً: ان المأمون امر الفراء ان يؤلف ما يجمع به اصول النحو، وما سمع من العرب،فامر ان تفرد له حجرة من حجر الدار،ووكل به جواري وخدماً للقيام بما يحتاج اليه،حتى لا يتعلق قلبه،ولا تتشوق نفسه الى شيء...... وصير له الوراقين،والزمه الامناء والمنفقين،فكان الوراقون يكتبون،حتى صنف الحدود،وامر المأمون بكتبه في الخزائن،فبعد ان فرغ من ذلك خرج الى الناس . «٢»

وذكر ابن النديم عند كلامه عن اسماء كتب الشرائع المنزلة على مذهب المسلمين،ومذهب اهلها :

قرأت في كتاب وقع الي قديم النسخ،يشبه ان يكون من خزانة المأمون، ذكر ناقله فيه اسماء الصحف وعددها،والكتب المنزلة ومبلغها،واكثر الحشوية والعوام يصدقون به،ويعتقدونه،فذكرت منه ما تعلق بكتابي هذا. «٣»

فكان بيت الحكمة يحوي كل نادر وغريب،يقصده المؤلفون ويجدون فيه خير معين لما يرغبون به من العلوم المختلفة .

«١» مجلة المجمع العلمي العراقي: ٢:١٤٢، ١٧١

«٢» ضحى الاسلام: ٢: ٦٥

«٣» الفهرست: ٣٢

وان حمزة الاصفهاني «المتوفى حوالي سنة ٣٥٠ هـ = ٩٦١ م»عندما وضع كتابه «سني ملوك الفرس»استعان بثماني نسخ مترجمة الى العربية من كتاب «تاريخ ملوك الفرس» كانت احدى هذه النسخ في خزانة المأمون«١».

وممن لازم بيت الحكمة ونقل عن كتب خزائنه هو ابن النديم«المتوفى سنة ٣٨٠ هـ = ٩٩٠ م» صاحب الفهرست،فاطلع على ما فيه من كتب نادرة ومصورات جغرافية،وخطوط لمختلف الامم،ورقوق قديمة،ولغات منوعة. فكان ما في بيت الحكمة من كتب و غيرها،من المصادر التي عول عليها في في تأليفه الثمين.وآخر ذكر لدار الحكمة نسمعه من ابن النديم .

نقل ابن النديم من بيت الحكمة نماذج من خطوط الامم التي تكلم عنها. فذكر عند كلامه عن القلم الحميري : ورأيت أنا جزءاً من خزانة المأمون ترجمته : ما امر بنسخه امير المؤمنين عبدالله المأمون – اكرمه الله – من التراجم وكان في جملته القلم الحميري، فأثبت مثاله على ما كان في النسخة «٢».

وقال عند كلامه عن الخط الحبشي،اما الحبشة:فلهم قلم حروفه متصلة كحروف الحميري يبتدىء من الشمال الى اليمين،يفرقون بين كل اسم منها بثلاث نقط،ينقطونها كالمثلث،بين حروف الاسمين.وهذا مثال الحروف وكتابتها من خزانة المأمون «٣» .

وذكر ايضاً : وكان في خزانة المأمون كتاب بخط عبد المطلب بن هاشم في جلد آدم،فيه ذكر حق عبد المطلب بن هاشم،من اهل مكة،على فلان بن فلان الحميري،من اهل وزل «صنعاء»عليه الف درهم فضة كيلا بالحديدة، ومتى دعاه بها اجابه.شهد الله والملكان «٤» .

هذا هو بيت الحكمة الذي اسسه العباسيون،لتسهيل سبل الدرس والمطالعة والتأليف والترجمة لمن يرغب بذلك.فقد كان يتعذر على الناس ان يقفوا على الكتب العلمية النادرة،والتي ترجمت من اللغات المختلفة الى اللغة العربية،

« ١ » « ٢ » مجلة المجمع العلمي العراقي: ٢ : ١٥٢،ضحى الاسلام: ١ : ١٧٨

« ٣ » « ٤ » الفهرست: ٧، ٨، ٢٩

وصرف في سبيل الحصول عليها، وعلى ترجمتها وتنقيحها المبالغ الكبيرة، فذلل الخلفاء للناس سبل المطالعة والدرس في بيت الحكمة، الذي انشىء لنشر العلوم والمعارف المنقولة عن الامم الاخرى، والتي رغب الخلفاء بتيسيرها للناس، ليقفوا على حقائق الامور، وتراث الامم التي تقدمتهم في شتى النواحي الفكرية والعلمية. ففتحوا ابواب الدار لكل قاصد، وشوقوا الناس الى التعلم والاقبال عليه، ويسروا لهم المطالعة والدرس والاستنساخ. كما كان الناس يحضرون المناظرات العلمية التي تجري بين العلماء في هذه الدار، في مختلف العلوم والفنون وابداء الآراء وغير ذلك .

كانت الحرية التامة تسود بيت الحكمة، فلا تجد فيه اثراً للتعصب الذميم، بل تجد فيه اصحاب العلم والفلسفة يتناظرون بكل حرية وصراحة، ويتكلم اهل الملل والنحل بما يبدو لهم وبما يعتقدونه، ويرونه اقرب الى العقل والمنطق.

ومما يؤيد لنا هذا: انه كان بين الذين تولوا امر بيت الحكمة، واشرفوا على حركة الترجمة فيه، هم من السريان واليهود والمجوس وغيرهم، ولهم منزلة رفيعة عند الخلفاء، يعمل برأيهم ويأخذ عنهم علماء المسلمين، ويرجعون الى اقوالهم وآرائهم .

كما كانو يؤدون شعائرهم الدينية بمنتهى الحرية، ويدافعون عن معتقداتهم بكل صراحة، ويناظرون المسلمين في الامور الدينية، ولربما كان هذا امام الخليفة نفسه .

كان ثئودورس ابو قرة «المتوفى سنة ٨٢٠ م» تلميذ يوحنا الدمشقي، واسقف حران، يجادل علماء الدين المسلمين في الامور الدينية بحضور الخليفة المأمون «١».

وكان بعض اصحاب بيت الحكمة من الشعوبيين المغالين في بغض العرب، وتفضيل غيرهم من الاعاجم عليهم، فكان علان الوراق من متولي بيت الحكمة. ذكر عنه ياقوت: اصله من الفرس وكان علامة بالانساب، والمثالب والمنافرات،

«١» خزائن الكتب- طرازي: ١: ٥٤

منقطعاً الى البرامكة، وينسخ في بيت الحكمة للرشيد والمأمون والبرامكة، وعمل كتاب الميدان في المثالب الذي هتك فيه العرب واظهر مثالبها، ابتدأ ببني هاشم قبيلة قبيلة على الترتيب الى آخر قبائل اليمن. «١»

وكان سهل بن هارون مختص بخدمة المأمون، وصاحب خزانة الحكمة له، شعوبياً يتعصب للعجم على العرب، شديداً في ذلك، وله في ذلك كتب كثيرة. «٢» ولم ينكر عليه بل انه قوبل بالرد المؤيد بالنصوص والمنطق والعقل. وكان غيرهم كثير .

هذا التسامح كان يسود بيت الحكمة الذي اسسه الخلفاء انفسهم، حباً بنشر الروح العلمية الخالصة بين كافة الطبقات. كما صارت الكتب التي تبحث في شتى النواحي الفكرية متيسرة في دكاكين الوراقين، بعاصمة الرشيد والمأمون في الوقت الذي كانت اوربا تتخبط في دياجير الظلام .

كتب عبدالله بن اسماعيل الهاشمي رسالة الى عبدالمسيح بن اسحق الكندي، يدعوه بها الى الاسلام: فأجابه عبد المسيح برسالة يرد بها عليه، ويدعوه الى النصرانية فلم ينكر عليه هذا. «٣»

وعرض الخليفة المهدي على طيمثاوس الكبير الجاثليق عشرين سؤالا عن النصرانية، فأجابه عليها بكل صراحة. «٤»

وكان الحارث بن قيس الفزاري شيخاً اعمى، وكان له ابن شيعي، وابنة حرورية. وامرأة ترى رأي المعتزلة، وكانوا جلوساً معه، فقال بيده وحسبهم : ان الله جل وعز يحشرني واياكم يوم القيامة — طرائق قدداً. «٥»

« ١ » معجم الا دباء: ١٢ : ١٩١

« ٢ » معجم الا دباء: ١ : ٢٦٦

« ٣ » طبعت الرسالتان في لندن سنة ١٨٨٥م .

« ٤ » خزائن الكتب- طرازي : ٥٤ ، ٥٥

« ٥ » المحاسن والمساوي- للبيهقي: ٢ : ٢٣١

بيت الحكمة في القيروان

قامت دولة الاغالبة في تونس «سنة ١٨٤ هـ = ٨٠٠ م» على يد مؤسسها ابراهيم بن الاغلب، واتخذت مدينة القيروان عاصمة لها. امتاز امراؤها بميلهم الى العلم والادب، وكان منهم شيخ الفتيا وقاضيهم «اسد بن الفرات» فاتح صقلية وصاحب كتاب «الاسدية» في الفقه المالكي.

وامتاز عصر الاغالبة «١٨٤ — ٢٩٦» بانتشار علوم الفلسفة والطب والحكمة في تونس، واول من اهتم بنشرها بين السكان هو الطبيب اسحاق بن عمران، فانه شرح كتب الفلسفة وفك غامضها وبسط كتبها، فيسر امر قراءتها لمحبيها.

وسعى الاغالبة بجلب الكتب العلمية المختلفة من اقطار الشرق — كالعراق والشام ومصر وغيرها، ورغبوا بعض القساوسة من صقلية فاستقدموهم الى القيروان، وكلفوهم بترجمة الكتب المختلفة من اليونانية واللاتينية، فترجموا لهم عدة كتب في الفلسفة والطب والنبات والتاريخ، كان يساعدهم في عملهم رجال افريقيون يتقنون اللغة العربية .

ويذهب الاستاذ عثمان الكعاك ان الذي اسس بيت الحكمة بالقيروان، هو زيادة الله الثالث «٢٩٠ — ٢٩٦ هـ = ٩٠٢ — ٩٠٨ م» وكان بيت الحكمة قريباً من الجامع الكبير، واقعاً على السماط الأعظم الذي هو الجادة الكبرى الرئيسية بالقيروان .

وفيه مكتبة ودار ترجمة وتأليف، ومعهد لتدريس علوم الطب والصيدلة والرياضيات والفلك والهندسة والنبات والموسيقى وغيرها .

وانتشرت بواسطته الارقام الهندية، التي اخذها العرب وهذبوها، وادخلها الى الاندلس دوناس بن فرش القيرواني، وترجمت فيه الكتب المختلفة، وترجم عن البربرية: مانيثيا وبوغورطة وانساب البربر التي عول عليها ابن خلدون في مؤلفه، وعن اللاتينية تاريخ ليف الروماني، وعن البونيقية كتاب ماعون في الفلاحة، وغيرها من الكتب العلمية والأدبية المختلفة .

وكان فيه محل لاقامة العلماء ومن يرتاد هذا البيت، فيجدون فيه السكن واسباب العيش ولوازم الكتابة، كما تجد فيه من يساعدهم من النساخين والتراجمة والوراقين، كان هذا يسهل لهم الانقطاع فيه، والتفرغ للدرس والتأليف .

وممن تولاه هو: ابو اليسر ابراهيم بن احمد الشيباني، ويعرف بالرياضي. وهو من اهل بغداد، سكن القيروان، وله سماع ببغداد من جلة المحدثين والفقهاء والنحويين. لقي الجاحظ والمبرد وثعلباً وابن قتيبة، وهو الذي ادخل الى افريقيا رسائل المحدثين واشعارهم وطرائف اخبارهم. وكان عالماً اديباً مترسلا بليغاً ضارباً في كل علم وادب، وله تآليف كثيرة .

وكان اديب الاخلاق نزيه النفس، كتب لابراهيم بن احمد بن الاغلب ثم – من بعده – لابنه ابي العباس عبدالله، وفي ايام زيادة الله – آخر امراء بني الاغلب – عهد اليه بأمر بيت الحكمة، وبقي يشرف عليه الى ان سقطت دولة الاغالبة على ايدي الفاطميين، وعمر سنتين بعد هذا، وتوفي «سنة ٢٩٨ هـ = ٩١٠ م» ودفن في مدينة القيروان .

وبعد سقوط دولة الاغالبة تنقطع عنا اخبار بيت الحكمة، وان بعض العلماء اخذوا ينزحون منها الى الاندلس، فرحب بهم عبد الرحمن الناصر، وابنه الحكم من بعده، وفتحوا لهم ابواب مساجدهم الجامعة، ويسروا للناس نشر العلم والحكمة في عاصمتهم قرطبة، وممن سافر الى الاندلس من هذه الفئة ابن سعيد الصيقل والفتى طريف فانهما نشرا علوم الحكمة في الأندلس«١».

«١» انظر : نفح الطيب: ٢: ١١٥ ، ١١٦ ، خزائن الكتب: ٢: ٦٩١ ، تراجم اسلامية: ١٣٠-١٣٥ ، مجلة المجمع العلمي العربي العدد: ٤: ـ السنة :٢٨ بحث عن الثقافة في تونس للمرحوم حسن حسني عبد الوهاب باشا، – مجلة المكتبة العربية: العدد: ١ من السنة الاولى – بحث للاستاذ عثمان الكعاك. تونس عبر التاريخ: ١٢٨-١٢٩ .

دار الحكمة في القاهرة

كانت المنافسة بين الفاطميين والعباسيين في السياسة والعلم والادب، وفي القرن الرابع الهجري أسس الفاطميون دار الحكمة«١» بالقاهرة«سنة٣٩٥هـ = ١٠٠٤ م» على نحو ما كان عليه بيت الحكمة في بغداد.وجعلوا فيها مكتبة كبيرة،وضعوا فيها آلاف الكتب المنوعة والنادرة العزيزة المنال.والتي تمتاز بجودة الخط،وجمال التجليد،ودقة الزخارف،وهي في شتى العلوم والفنون والمعارف.تجد فيها كتب الفقه والنحو واللغة والحديث والسير والنجوم والروحانيات والكيمياء والفلسفة والطب وغيرها،من كل كتاب عدة نسخ. وفيها المصاحف المذهبةبالخطوط المنسوبة،كخط ابن مقلة وابن البواب، وغيرهما من الخطاطين.

ذكر المقريزي ان الحاكم بأمر الله «٣٧٥ — ٤١٠ هـ = ٩٨٥ — ١٠١٩ م» نقل اليها من كتب قصره،ومن خزائن القصور المعمورة،بما يقدر بستمائة الف مجلد،من اصل تلك الكتب كانوا يعدون مائة الف مجلد بديعة الخط والتجليد .

وبلغ عدد كتب دار الحكمة — بعد هذا — مليون وستمائة الف مجلد. ويذكر المقريزي ايضاً : انه لم يكن في جميع بلاد الاسلام دار كتب اعظم منها.

وكان فيها مصورات جغرافية،وآلات فلكية،وخطوط نادرة،واقلام منسوبة،وتحف فنية نادرة.ومن ذلك : كرتان ارضيتان احداهما من الفضة،

«١» وتسمى ايضاً «دار العلم» انظر عنها:
بغداد— لطيفور: ٤٥ ، خطط المقريزي «١: ١٨١ ، ٤٥٨ » « ٢: ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٥٤ ، ٣٣٤ ، ٣٣٥ ، » « ٣: ٣٣٦ ، ٣٣٧ ، » «٤: ٥٠ »، بغية الوعاة: ٢١٣ ، وفيات الاعيان: ٢: ٣٣٤ ، النجوم الزاهرة : ٤ ١٨٧ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، صبح الاعشى : «٢: ٢١٣» « ٣: ٣٦٣، ٣٦٧ »، «١٣: ٢٣٧ »، خطط الشام: ٤ ١٩٨، خزائن الكتب: ١ : ١٧٩ ، مختصر تاريخ العرب: ٥١٠، صناعة الطرب في تقدمات العرب: ٤٤١ .

كان قد صنعها بطليموس ثم صارت الى الأمير خالد بن يزيد بن معاوية. وكان مكتوباً عليها: حملت هذه الكرة من الأمير خالد بن يزيد بن معاوية. اما الكرة الثانية فكانت من النحاس صنعها ابو الحسن لأسد الدولة صالح بن مرداس الكلابي،اول الأمراء المرداسيين بحلب.

وكان في دار الحكمة صناديق مملوءة اقلاماً،من براية ابن مقلة وابن البواب وغيرهما من الخطاطين المشهورين .

ووصف المقريزي دار الحكمة وصفاً جامعاً فقال : «ففي سنة خمس وتسعين وثلثمائة فتحت الدار الملقبة بدار الحكمة بالقاهرة،وجلس فيها الفقهاء،وحملت الكتب اليها من خزائن القصور المعمورة،دخل الناس اليها، ونسخ كل من التمس نسخ شيءمما فيها ما التمسه،وكذلك من رأى قراءة شيء مما فيها،وجلس فيها القراء والمنجمون واصحاب النحو واللغة والأطباء ، بعد ان فرشت الدار،وزخرفت وعلقت على جميع ابوابها وممراتها الستور، واقيم قوام وخدام وفراشون وغيرهم،وسموا بخدمتها،وحصل في هذه الدار من خزائن امير المؤمنين الحاكم بامر الله،من الكتب التي امر بحملها اليها، من سائر العلوم والآداب والخطوط المنسوبة،ما لم ير مثله مجتمعاً لاحد قط من الملوك،واباح ذلك كله لسائر الناس على طبقاتهم،ممن يؤثر قراءة الكتب والنظر فيها.فكان من المحاسن المأثورة ايضاً التي لم يسمع بمثلها،اجراء الرزق السني لمن رسم له الجلوس فيها،والخدمة لها،من فقيه وغيره،وحضرها الناس على طبقاتهم: فمنهم من يحضر قراءة الكتب،ومنهم من يحضر للنسخ،ومنهم من يحضر للتعلم،وجعل فيها ما يحتاج الناس اليه من الحبر والاقلام والورق والمحابر

وكان الحاكم بأمر الله،يشرف بنفسه على الحركة العلمية التي كانت في دار الحكمة، وتجرى بحضرته المناظرات والمجالس الدينية والعلمية .

وفي سنة ثلاث واربعمائة احضر اهل الحساب والمنطق،وجماعة من الفقهاء،وجماعة من الاطباء الى حضرته،فكانت كل طائفة تحضر على انفرادها للمناظرة بين يديه،ثم خلع على الجميع ووصلهم.

واوقف الحاكم للدار ما يكفي لادامة عمارتها، ولمرتبات من يشتغل فيها من العلماء والفقهاء والخدم، ولاثاث الدار، وما يلزمها من المصروفات المختلفة، وما يحتاج مرتادوها من ادوات الكتابة ولوازمها، وكان لها نسبة معينة من اوقاف الجامع الازهر، وجامع المقس، وجامع راشدة، وغير ذلك .

وسار الخلفاء الفاطميون على طريقته، فضاعفوا اوقافها وصرفوا عليها بسخاء. يذكر السيد امير علي : ان النفقة عليها بلغت «٤٣» مليون درهم سنوياً، بينما يذكر المقريزي : ان النفقة السنوية عليها كانت «٢٥٧» ديناراً في السنة«١» ولعل ما ذكره المقريزي هو ما كان يصرف عليها في اواخر ايامها .

والسبب الذي حمل الخلفاء الفاطميين على ان يضاعفوا النفقة على دار الحكمة، وان يصرفوا عليها بجود وسخاء، انهم اتخذوها مركزاً ثقافياً لنشر دعوتهم، ومبادىء مذهبهم الذي يؤيد حقهم في الخلافة، خاصة وان النزاع بينهم وبين العباسيين كان قوياً على الخلافة، وكانت الدولة العباسية في ضعف سياسي، قد تحكم الاعاجم في الدولة ، وانتزعوا السلطة من الخليفة، وتحكموا في البلاد كما ارادوا ، فلجأ الخلفاء العباسيون الى الطعن بنسب الفاطميين ، وادعوا انهم ليسوا من نسل الامام جعفر الصادق، وشنوا حملة قوية ضد مذهبهم والطعن في نسبهم، ولم يجد الفاطميون بداً من مقاومة هذا العداء، فلجأوا الى الدعاوى المذهبية في الدفاع عن خلافتهم ، والرد على ما كتبه عنهم علماء اهل السنة — انصار الخلافة العباسية — ونقض ما كتبوه عنهم .

وكانت الدعوة الفاطمية اقوى بكثير من الدعوة العباسية، واتخذوا لهم مراكز عديدة في بلاد الشام والعراق وبلاد الجزيرة .

وكانت مجالس الدعوة التي نظموها في دار العلم كثيرة ومتنوعه، وهي خير ما يعتمدن عليه في تعزيز الدعوة في مصر وفي غيرها من البلاد، وفيها يدرب الدعاة الذين ينشرون الدعوة في البلاد الاخرى. وعقد وزراؤهم واهل

«١» هذا المبلغ زهيد لما تطلبه الدار المذكورة وما فيها من كتب واثاث ومشرفون وغير ذلك. ولعل هذا كان خطأ في النسخ

الرأي منهم مجالس علمية –لتأييد خلافتهم – في دورهم، وفي المساجد الجامعة، ونشروا المذهب الفاطمي بما كانوا يجرونه فيها من المناظرات والمساجلات المذهبية والادبية المختلفة التي تهدف الى بث مبادئهم بين كافة طبقات الشعب.

ومن ذلك ما فعله الوزير يعقوب بن كلس «٣١٨ – ٣٨٠ ﻫ = ٩٣٠ – ٩٩٠ م» الوزير الفاطمي، فانه كان من اكثر الناس اهتماماً بنشر مبادىء المذهب الفاطمي، وكانت داره مجمع العلماء والفقهاء والادباء والشعراء، وقلما يمر يوم الا ويعقد فيه مجلس علمي يحضره الناس، والف هو كتاباً في فقه الاسماعيلية كان يقرأه كل ليلة جمعة في داره، بمجلس عام يحضر المجلس: القضاة والفقهاء والقراء والنحاة وجميع ارباب الفضائل والعدول وغيرهم، من وجوه الدولة واصحاب الحديث، فاذا فرغ من مجلسه، قام الشعراء ينشدون المدائح، وكان في داره قوم يكتبون القرآن الكريم، وآخرون يكتبون الحديث والفقه والأدب حتى الطب، ويعارضون المصاحف ويشكلونها وينقطونها......

وصنف كتاباً مما سمعه من المعز وولده العزيز، وجلس في شهر رمضان من سنة ٣٦٩ ﻫ مجلساً حضره الخاص والعام، وقرأ الكتاب بنفسه على الناس، وجلس في الجامع العتيق بمصر جماعة يفتون الناس من هذا الكتاب .

على ان ما قام به الوزراء – ابن كلس وغيره – لم يكن من الاهمية بمكان ، على ما كانت عليه الدعاوة الواسعة في دار الحكمة – دار العلم فانهم نظموا دعوة واسعة فيها، ويسروا امر المطالعة والدرس والاستنساخ لكافة الطبقات التي تقصدها، بما قدموه من الكتب المختلفة، وادوات الكتابة ولوازمها، فدخلها الناس على اختلاف طبقاتهم: فبعضهم كان ينسخ ما يرغب به من الابحاث، وبعضهم يعارض او يصحح ما عنده من كتب، وبعضهم يتلقى الدروس على شيوخ الدار، واكثرهم لحضور مجالس العلم المختلفة، التي كان يعقدها الفاطميون للمناظرة في شتى العلوم الفلسفية والمنطقية والمذهبية، ويدعون خلالها الى مبادئهم وتعاليمهم السرية – وهي الغاية التي كانوا يسعون اليها – فالدار مركز مهم لنشر مبادىء المذهب الفاطمي وتعاليمه، ولداعي الدعاة مجلس

في دار الحكمة،وهو يشرف بنفسه على تنظيم الدعوة بين سائر الطبقات التي كانت ترتاد الدار.قال المقريزي : كان بجوار القصر دار تعرف بدار العلم ــ خلف خان مسرور ــ كان داعي الشيعة يجلس فيها ،ويجتمع اليه من التلاميذ من يتكلم في العلوم المتعلقة بمذهبه .

ولما توسعت الدعوة،وكثر الاقبال على مجالس العلم،ضاقت الدار بمن يرتادها،فأخذوا يعقدون مجالس الدعوة بالمحفل ايضاً،وهو مقر داعي الدعاة، وكان فقهاء دار العلم على اتصال تام بداعي الدعاة،يتلقون منه اسرار المذهب الفاطمي،والتعاليم التي يرغب بنشرها بين الناس،وينظم الفقهاء مجالس بما سيلقي،يعرضونها على الداعي.وكان هذا يعرضها بدوره على الخليفة،وبعد ان يأخذ موافقته على نشرها،كان الداعي يقوم بتلاوة المجلس«المحضر» على الناس .

قال المقريزي: ويحضر اليه ــاي داعي الدعاةــ فقهاء الدولة، ولهم مكان يقال له دار العلم، ولجماعة منهم على التصدير بها ارزاق واسعة، وكان الفقهاء منهم يتفقون على دفتر يقال له «مجلس الحكمة » في كل يوم اثنين وخميس، ويحضر مبيضاً الى «داعي الدعاة» فينفذ اليهم ويأخذه منهم، ويدخل به الى الخليفة في هذين اليومين المذكورين، فيتلوه عليهــ ان امكنــ ويأخذ علامة بظاهره، ويجلس بالقصر لتلاوته على المؤمنين في مكانين: للرجال على كرسي الدعوة بالايوان الكبير، وللنساء بمجلس الداعي، وكان من اعظم المباني واوسعها، فاذا فرغ من تلاوته على المؤمنين والمؤمنات حضروا اليه لتقبيل يده، فيمسح على رؤوسهم.

فالفاطميون اعتمدوا كل الاعتماد على فقهاء «دار الحكمة». وكان من اعمال فقهاء الدولة ان يجتمعوا فيدار الحكمة عند جماعة متصدرين بها، وان يقوموا بتنظيم مجالس الدعوة، التي تهدف الى نشر المذهب الفاطميــ الاسماعيليــ وهي تكون تحت اشراف داعي الدعاة الذي كان يراجع الخليفة في امرها.

ولما زاد الاقبال على مجالس العلمــ الدعوةــ نظم الداعي عدة مجالس لها

فكان يفرد للاولياء مجلساً، وللخاصة وشيوخ الدولة ومن يختص بالقصور من الخدم وغيرهم مجلساً، ولعوام الناس وللطارئين على البلد مجلساً، وللنساء بالجامع الازهر مجلساً، وللحرم وخواص نساء القصور مجلساً، كما كان الداعي ينظم المجالس بداره، وينفذها الى من يختص بخدمة الدولة. هذه المجالس المختلفة كانت تنظم بكتب خاصة، يقوم بها فقهاء بيت الحكمة، وتسمى «مجالس الحكمة».

فمصدر مجالس الدعوة القوية المنظمة هو دار الحكمة، توضع بها المجالس المتفاوتة بمبادئها وتعاليمها، وكل نوع منها تناسب قابلية وعقلية من ستلقى عليه. فمجالس الاولياء— وهم المقدمون في المذهب وعليهم الاعتماد— هي غير مجالس العامة والطارئين على البلد، وهذه تختلف عن مجالس النساء، او مجالس خواص الخدم، وغيرهم، فكانت الدعوة تشمل كافة طبقات الشعب عالمهم وجاهلهم، الرجال والنساء، الخاص والعام، المقيم والطاريء على البلد، وكلها تصدر عن دار الحكمة.

وكما كانت دار الحكمة تنظم الدعوة في مصر، فانها صارت مركزاً لنشر المذهب الفاطمي في شمال افريقية، وبلاد الشام وبلاد الجزيرة، وتخرج منها اعلام هذا المذهب ومجتهدوه ودعاته، الذين خدموا الفاطميين اجل خدمة، وامدوا الخزانة الفاطمية بشتى الكتب الفقهية والعلمية التي تعزز مذهبهم، وتؤيد خلافتهم.

ومن الذين تولوا دار الحكمة، هو داعي الدعاة ابو نصر هبة الله بن موسى بن ابي عمران الشيرازي المعروف بلقب المؤيد في الدين تولى الدار في خلافة المستنصر «٤٢٧—٤٨٧هـ= ١٠٣٥—١٠٩٤م» وله ثمانمائة مجلس، عقدها في دار الحكمة، وهي تقع في ثماني مجلدات كبيرة، تناول فيها موضوعات اسماعيلية شتى: دينية وسياسية وادبية وتأويلية، وكلها لتأييد المذهب الاسماعيلي— الفاطمي— وترد على من يرى خلاف ذلك— وهو الذي كانت المراسلات بينه وبين فيلسوف المعرة ابي العلاء المعري— كما انه رد على ابن الراوندي، وما قاله في كتابه «الزمرذ» في ابطال النبوآت.

وبجانب هذا فان الدار خدمت العلم خدمة تذكر، كان يدرس فيها من النحو واللغة والطب والفلسفة والكيمياء وتخرج منها اعلام الفكر في العصر الفاطمي.

ومن الحلقات التي كانت تعقد فيها، هي التي كان يعقدها جنادة بن محمد بن الحسين الازدي الهروي ابو اسامة اللغوي النحوي «المتوفى سنة ٣٩٩هـ= ١٠٠٨م» قدم مصر وصحب الحافظ عبد الغني بن سعيد، وابا اسحق علي بن سليمان المعري النحوي، وكانوا يجتمعون في دار العلم بالقاهرة، وتجري بينهم مباحثات ومذاكرات، فقتل الحاكم جنادة وابا علي، واستتر عبد الغني «١».

بقيت الدار عامرة بمجالسها العلمية حتى «سنة ٤٦١هـ= ١٠٦٨م» فاصابتها نكبة طوحت بكثير من كتبها النفيسة. وذلك ان الخليفة المستنصر بالله بن الظاهر «٤٢٧–٤٨٧هـ= ١٠٢٥–١٠٩٤م» كان ضعيفاً سيء التصرف، مدمناً على الخمر، اهمل امور البلاد، فثار عليه الجيش بقيادة ابن حمدان «سنة ٤٦١هـ=١٠٦٨م» واضطروه الى بيع كنوزه، وكنوز قصوره، لسد حاجتهم، وامتدت ايدي الجيش الى خزانة كتب دار الحكمة، وكانت تحوي كنوزاً ثمينة ومما كان فيها الفان واربعمائة ختمة، مكتوبة بخط محلي بالذهب والفضة، فاقتسمها الاتراك وفرقوها بينهم، وفرقوا كتب دار الحكمة وما فيها من نفائس، وحملوا منها عدة احمال الى الاسكندرية، ارسلت على الجمال الى الوزير عماد الدين ابي الفضل بن المحترق– حاكم الاسكندرية– ولما وصلت قرية «ابيار» سطا عليها بعض العربان من قبيلة «لواتة» فنهبوها، واحرقوا ورقها، وانتزعوا جلودها الثمينة، وصنعوا منها احذية، وهكذا تبدد قسم لا يستهان به من كتب دار الحكمة. وهي من النكبات الكبيرة التي اصابتها. وفي شهر ذي الحجة من «سنة ٥١٦هـ= ١١٢٢م» جرت في الدار فتن، ادت الى غلقها، وتعطيل مجالسها العلمية. ذلك انه كان ممن يتردد الى الدار رجلان،

«١» معجم الادباء: ٧: ٢٠٩، ٢١٠

احدهما يدعى «بركات» والآخر يدعى «حميد بن مكي الاطفيحي القصار» مع جماعة، وكان القصار هذا يبث تعاليم هدامة، وما زال يغالي بها، حتى ادعى الالوهية. ولاقت تعاليمه رواجاً عند بعض البسطاء الذين كانوا يترددون الى الدار، كما استفسد استاذين من اساتذة الدار، فتفاقم امرهم، وخشي اولو الامر عاقبة هذه الحركة الهدامة، فاغلقت دار العلم– دار الحكمة– وقبض على المضللين ونكل بهم.

واننا نرى ان هذا لم يكن السبب الاصلي الذي ادى الى اغلاق دار الحكمة، وتعطيل مجالسها العلمية، وانما كان سبباً مباشراً لغلقها.

والسبب الرئيس هو: ان الفاطميين افترقوا الى فرقتين، مستعلية ونزارية، فالمستعلية يدعون ان الامامة انتقلت بعد المستنصر بالله الى ابنه المستعلي بالله ثم الى اولاده من بعده– وهم حزب الخليفة – .

واما النزارية فيدعون ان الامامة انتقلت بعد المستنصر بالله، الى ابنه نزار، كان ذلك بالنص من ابيه دون المستعلي بالله. وكانت مجالس المناظرة تعقد في دار الحكمة بين اصحاب الفرقتين– المذهبين– واخذ دعاة كل مذهب بتأييد ما يدعيه، ويظهر ان النزارية تغلبوا على المستعلية بدعاوتهم وتعزيز مذهبهم، فمال الناس اليهم، وكثر الخوض في المذاهب، وخشى المستعلية من تفوق النزارية عليهم، لذا رأوا من الحكمة غلق دار الحكمة، وتعطيل مجالس العلم فيها، الى ان تهدأ الاحوال ويترك الناس الجدل في المذاهب، فامر الافضل بغلق الدار، وتعطيل مجالس الدعوة فيها، فهدأت الحالة وبطلت المجادلات «١» .

وبعد عدة اشهر هدأت حركة النزارية، وانفض اتباعها عنها، واستقرت الامور للمستعلية، ولم يبق لهم منازع، فطاب بعض خدام دار الحكمة من الخليفة الآمر باحكام الله ٤٩٥ – ٥٢٤هـ = ١١٠١–١١٤٩م ان يعيد فتح الدار ففاوض الخليفة وزيره «المأمون البطائحي» في الامر، فاجاب الوزير على هذا، مشترطاً : اذا اعيد فتح الدار ان تسير الاوضاع الشرعية التي يقرها فقهاء المستعلية،

«١» صبح الاعشى: ١٣: ٢٣٦، ٢٣٧

وان يبنى لها محل بعيد عن محلها الاصلي، الذي يجاور قصر الخليفة، ووجودها قرب القصر قد لا يخلو من خطر على حياة الخليفة ومحاذير لا تحمد عقباها.

فاشار عليهم الثقة «زمام القصور» ان تبنى قريبة من داره، على بقعة خالية يصلح ان يكون موقعها لدار العلم- دار الحكمة- فشيدوا عليها «دار العلم الجديدة» وكانت داراً كبيرة، يقال ان النفقة بلغت عليها مائة الف دينار واكثر، ونقلوا اليها ما كان في دار الحكمة القديمة، وفتحت الدار الجديدة في شهر ربيع الاول «سنة ٥١٧هـ=١١٢٣م» وعاد الانتفاع بها كسابق عهدها، وجعل بها خازناً ابو محمد حسن بن آدم من اقطاب العلم والفضل، ومتصدرون برسم قراءة القرآن، وداعي للمذهب، وناظر يتولى امورها، ولم تزل عامرة بمجالسها العلمية الى ان انقرضت الدولة الفاطمية سنة ٥٦٧= ١١٧١م فان السلطان صلاح الدين الايوبي-بعد ان احتل مصر-حاول طمس معالم الدولة الفاطمية وقضى على مذهبهم، فهدم دار الحكمة، وشيد في محلها مدرسة للشافعية، كما ان القاضي الفاضل نقل منها مائة الف مجلد الى مدرسته الفاضلية.

لم يكن لبيت الحكمة الذي اسسه العباسيون ببغداد صبغة مذهبية ولم يدعوا فيه لمناصرة مذهب على آخر، ولا تجد فيه آثراً لتقييد الحرية الفكرية، تسوده روح العلم، واكثر كتبه كانت في علوم الحكمة: من طب وفلسفة ومنطق وموسيقى ورياضيات وفلك ونجوم. وتولاه علماء اعلام من الاطباء والفلاسفة والفلكيين، وغيرهم من اصحاب العلوم العقلية، وفيه من السريان والنصارى، ومن الفرس الشعوبيين، ومن الصابئة ومن اليهود والمجوس وغيرهم من اصحاب الملل والنحل المختلفة، فالحرية الفكرية مطلقة، ولكل منهم حق الكلام والمناظرة والتأليف بما يبدو له. حتى ولو كان الامر ضد العرب والمسلمين.

والعباسيون لم يقيدوا الافكار، ولم يفرضوا مذهبهم على الناس، بل لكل دينه ومذهبه ورأيه، وكان الخلفاء يشاركون في المناظرات العلمية

والدينية، ويبدون آراءهم كأحد الحاضرين، وتكون عرضة للنقد والرد عليها.

كان المأمون يعقد المجالس العلمية والدينية، ويشارك فيها، ويجادله العلماء بكل حرية وصراحة، ويبدون آراءهم ولو كانت تخالف ما يذهب اليه المأمون، وكان هو يتقبلها بكل ارتياح.

ذكر الطيفوري: سمعت يحيى بن أكثم يقول: امرني امير المؤمنين– عند دخوله بغداد– ان اجمع له وجوه الفقهاء واهل العلم من اهل بغداد، فاخترت له من اعلامهم اربعين رجلا، واحضرتهم، وجلس لهم المأمون، فسأل عن مسائل، وافاض من فنون الحديث والعلم، فلما انقضى ذلك المجلس الذي جعلناه للنظر في امر الدين: قال المأمون: يا ابا محمد: كره هذا المجلس الذي جعلناه للنظر طوائف من الناس، بتعديل اهوائهم وتزكية آرائهم، فطائفة عابوا علينا ما نقول في تفضيل علي بن ابي طالب– رضي الله عنه– وظنوا انه لا يجوز تفضيل علي، الا بانتقاص غيرة من السلف، والله ما استحل ان انتقص الحجاج، فكيف السلف الطيب.

كان المأمون يبغي من مجالسه الفقهية الدعوة الى تفضيل الامام علي– كرم الله وجهه– وهو ما كان يميل اليه، ولكنه لم يفرض هذا الرأي على الفقهاء الذين اختارهم يحيى بن أكثم لمناظرته، ولذا تراه يشكو الى يحيى استياء القوم مما يراه المأمون، ظناً منهم انه بتفضيل الامام علي، انتقاص لغيره من الصحابة. وانهم جادلوه في امر تفضيله له، وظهر منهم الاستياء من ذلك، ولكن المأمون لم يغضب من موقفهم معه، بل سمع الى ما قالوه بكل ارتياح.

وكان المأمون يرى رأي المعتزلة، ولكنه لم يفرض مذهبه على الناس، بل انه عزز مذهب المعتزلة – اهل الرأي – بترجمة كتب الفلسفة والمنطق، وهي التي تؤيد مذهبهم، وكان من هذه الحركة «علم الكلام» الذي مهد المعتزلة قواعده، وبرعوا فيه، وصار خير مساعد لهم على نشر مذهبهم.

اما الفاطميون فأنهم كانوا بالضد من هذا، فالحرية الفكرية مقيدة، واهتمامهم بكتب الفقه ومجالس الدعوة اكثر من غيرها. فكانت كتب فقه دار الحكمة مما يؤيد مذهبهم، ويعزز خلافتهم. والدار نفسها مركز

دعوة واسعة للمذهب الاسماعيلي، ولا تجد في الدار الكتب التي تعارض مذهبهم او تطعن بدعوتهم.

وان المجالس التي كانت تلقى فيها مقيدة غاية التقييد . فكان ينظمها فقهاء الدولة ، مع فقهاء دارالحكمة ، ويكون هذا تحت اشراف الداعي، ثم الخليفة نفسه، ثم بعد هذا التحفظ كانت تذاع على السامعين. فالدار دار دعوة منظمة للمذهب الاسماعيلي، تحت ستار من العلم. ومناهج الدار تتبع السياسة العليا للدولة، فهي دار دعوة ثم هي دار علم او حكمة.

وعلى هذا فان الدار مرت بأدوار مختلفة، تتبع بذلك سياسة الخليفة التي يرمي الى تحقيقها.

ولما اشتد عسف الخليفة الحاكم بأمر الله على اهل السنة واهل الذمة، ارسل اليه ابن باديس ينكر عليه افعاله . واراد الحاكم ترضية بن باديس واستمالته اليه ، فأمر في سنة « ٤٠٠ هـ = ١٠٠٩ م » بالاهتمام بدار الحكمة ، وزاد عدد كتبها ، واسكنها من شيوخ السنة شيخين ، يعرف احدهما بأبي بكر الانطاكي، وخلع عليهما وقربهما، ورسم لهما بحضور مجلسه، وملازمة دار العلم، وجمع الفقهاء والمحدثين اليهما، وامر ان يقرأ فضائل الصحابة، ورفع عنهم الاعراض في ذلك، واطلق صلاة التراويح، وامر الفقهاء بتدريس مذهب الامام مالك، واقام على ذلك ثلاث سنين. ثم بدا له بعد ذلك: فقتل الفقيه ابا بكر الانطاكي والشيخ الآخر، وخلقاً كثيراً من اهل السنة، «١»فعل ذلك كله في يوم واحد، وغلق دار العلم ومنع من جميع ما فعله، وعاد الى ما كان عليه من قبل.

فلما اراد الحاكم استمالة ابن باديس اليه، ولى الدار شيخين من اهل السنة، وامر الفقهاء بتدريس مذهب الامام مالك– مذهب ابن باديس – ولكنه لما اعرض عن ابن باديس وامن جانبه فأنه نكل بأهل السنة، ومنع نشر مذهب الامام مالك، وابطل كل ما امر به في دار العلم، و عاد الى سياسته الاولى

«١» يذكر المقريزي في اتعاظ الحنفاء: «٢ : ٥١» انه فعل هذا لما بلغه ان المغاربة تلمنه على على ما يقوم به من الاعمال.

في الاقتصار على بث مباديء المذهب الفاطمي، والمغالاة في هذا وفي نفسه حتى ادعى الالوهية.

ولما وجد حزب الخليفة – وهم المستعلية – ان دعاة المذهب النزاري في دار الحكمة في ازدياد، وان حركتهم لاقت نجاحاً كبيراً، وان الدعوة صارت عليهم لا لهم، خشي المستعلية عاقبة الامر، فبادروا الى غلق دار الحكمة، وتعطيل مجالسها العلمية– كما قدمنا– ولم يسمحوا بفتحها الا بعد ان هدأت الاحوال وكف الناس عن الجدل في هذا – وهكذا نجد ان الصبغة السياسية في دار الحكمة فوق كل اعتبار، فهي مركز سياسي تدعو الى تثبيت دعائم المذهب الاسماعيلي– المستعلية منهم– ولكنها كانت تسير تحت ستار من العلم والحكمة.

هذه الصبغة السياسية لا نجدها في بيت الحكمة ببغداد. فهي مؤسسة ثقافية عالية، تهدف الى نشر الحكمه والعلم والادب والحكمة، نجد فيها الشعوبي يجادل العربي، ويؤلف الكتب في ثلب العرب، وتفضيل العجم عليهم، والعرب هم الذين منهم الخليفة مؤسس الدار وحامي العلم والدين.

ونجد فيه النصارى بجانب المسلمين يتولون امور الدار، ويقومون بالاشراف على الترجمة والتأليف فيه، يشاركهم بهذا الصابئة والمجوس واليهود وغيرهم، ومنزلتهم العلمية والاجتماعية عند المسلمين، لا تقل عن منزلة المسلمين العلمية الخالصة– الخالية من كل تعصب ديني او مذهبي او عنصري– فالروح العلمية هي السائدة في الدار، وحرية الكلام والمعتقدات مطلقة، وتحكيم العقل والمنطق فوق كل اعتبار .

دار الحكمة في طرابلس

آل عمار من الاسر العلمية التي كانت بطرابلس الشام، وكانوا على اتصال بالفاطميين الذين اخضعوا طرابلس لحكمهم، واتخذوها مركزاً لنشر دعوتهم. وقام من آل عمار عدة قضاة تولوا قضاء طرابلس، وكانوا على جانب من العلم والادب ومكارم الاخلاق .«١»

اخذت هذه الاسرة تطمح الى الاستقلال في بعض مدن الساحل، خاصة بعدما شاهد اضطراب الحالة في سورية ومصر. فقد ثار بالقاهرة ابن حمدان — مع الجيش — على الخليفة المستنصر بالله الفاطمي «٤٢٧—٤٨٧هـ= ١٠٣٥—١٠٩٤م»، واستولى الصليبيون على بعض مدن سوريا، وهم جادون بتوسيع نفوذهم فيها، وكانت بعض المدن تخضع اسمياً للخليفة العباسي، يدير شؤون كل منها امير او ملك قد استأثر بالحكم فيها.

واول من استقل منهم هو القاضي امين الدولة ابو طالب الحسن بن عمار، استبد بأمور المدينة، وقطع صلته مع الفاطميين، وصار يحكمها ويتولى سائر امورها حتى «سنة ٤٦٤هـ=١٠٧١م» حيث قضى نحبه.

وملك بعده ابن اخيه جلال الملك ابو الحسن علي بن محمد بن عمار فاستولى على جبلة، وحاول بدر الجمالي «سنة ٤٨٣هـ=١٠٩٠م» ان يستولي على طرابلس، فلم يتمكن لحصانة المدينة، ودفاع اهلها المجيد عنها.

واشتهرت طرابلس — على عهدهم — بدار العلم الكبيرة التي كانت فيها، والذي نراه: ان الفاطميين هم الذين ساعدوا على تأسيسها. واتخذوها مركزاً قوياً لنشر المذهب الفاطمي في سوريا، وكان الذي يرعاها وينفق عليها هم آل عمار الذين كانوا من علماء الشيعة ويرون رأي الفاطميين.

«١» انظر عنها: تاريخ ابن الفرات: ٨: ٧٧-٧٩، الكامل ١٠: ١٧٩، المختصر: ٢: ١١١ وفيات الاعيان: ٢: ١٢٨، تاريخ التمدن الاسلامي: ٣: ٢٠٤، لسان الميزان: ٢: ٢٧٥ دائرة معارف البستاني: ١١: ٢٤١، ٢٤٢، دولة آل سلجوق: ٢٠، المقتطف ٧٤: ٣٨٥، ٣٨٦، خزائن الكتب في الخافقين: ١: ١٣٩، ١٤٠، النجوم الزاهرة ٥: ١١١

وان آل عمار بعد ان تمكنوا في البلد وآنسوا بقوتهم، ومناعة مدينتهم، وانشغال الفاطميين في الاضطرابات الداخلية، انفصلوا عن الدولة الفاطمية، واسسوا لهم دولة مستقلة، ولكنهم بقوا على مذهبهم الشيعي، وكانوا يؤيدونه وينشرون دعوته. ولما حاول الصليبيون الاستيلاء على طرابلس، لجأ آل عمار الى السلاجقة والخلفاء العباسيين، وطلبوا المساعدة منهم، ولم يستعينوا بالفاطميين، خوفاً على استقلالهم الاداري.

اما اخبار دار العلم فهي قليلة في كتب التاريخ وتتلخص: ان الذي كان يرعى الدار المذكورة هم آل عمار، وهم رجال سياسة وعلم، كانوا قضاة طرابلس، وصاروا ملوكها، وانهم كانوا يصرفون على الدار بسخاء، فأضافوا اليها آلاف الكتب المختلفة من علمية وفلسفية وادبية وفقهية وغير ذلك. وشجعوا المؤلفين وانفقوا على النساخين الذين كانوا ينسخون الكتب المختلفة فيها. فقد كان يعمل بها مائة وثمانون نساخا ينسخون الكتب بالجراية والنفقة عليهم جارية، والصيانة لهم مشتملة.

ونستدل مما ذكره «ابن الفرات» في تاريخه: ان اول من تولاها منهم هو امين الدولة ابو طالب الحسن بن عمار المتوفى «سنة ٤٦٤هـ=١٠٧١م» قال عنه: وكان ابن عمار رجلا عاقلا فقيهاً، سديد الرأي، وكان شيعياً من فقهائهم، وكانت لهم دار علم في طرابلس، فيها ما يزيد على مائة الف كتاب وقفاً، وهو الذي صنف «ترويح الارواح ومصباح السرور والافزاح»

وفي «سنة ٤٧٢هـ=١٠٧٩م» وسع الدار وجددها جلال الملك ابو الحسن علي بن محمد بن عمار، واضاف اليها كتباً كثيرة.

وكان بنو عمار لا يعهدون بامر الدار الا لاجل العلماء في الفقه والعلم، ممن يناصر مذهبهم. وممن تولاها الحسين بن بشير بن علي بن بشير الطرابلسي، المعروف بالقاضي، قال عنه الذهبي: ذكره ابن ابي طي من رجال الشيعة. وقال: كان صاحب دار العلم بطرابلس، وله خطب يضاهي خطب ابن نباتة، وله مناظرة مع الخطيب البغدادي، ذكرها الكراجكي في رحلته، وحكم له على الخطيب بالتقدم في العلم.

وهذا يؤيد ما ذهبنا اليه، : ان الدار كانت دار دعوة للفاطميين الذين كانوا يسعون في نشر مذهبهم في بلاد سورية، وقد نجحوا في ذلك بعض النجاح، فأن مبادىء الفاطميين تسربت فيها، وتعدتها الى بلاد الجزيرة وبغداد، وخطب للخليفة الفاطمي في كثير من بلاد العباسيين، كما حدث هذا بسورية والموصل ، وفي بغداد نفسها، كان هذا بتأثير الدعوة الفاطمية القوية التي نظموها ونشروها في طول البلاد الاسلامية وعرضها، فكان لهم مراكز للدعوة في سورية وبلاد الجزيرة والعراق، ومن اقوى المراكز التي كانت في سوريا هي دار الحكمة التي تولاها آل عمار، وامدوها بعلمهم ومالهم ، فصارت من المعاهد الاسلامية المعدودة في العالم الاسلامي .

كانت الدار تحوي كتباً كثيرة في شتى العلوم والمعارف والآداب، وقد مر بنا انه كان بها في اول تأسيسها مائة الف كتاب، وما زالت الكتب في زيادة مما يجمعه آل عمار، ومايكتبه النساخون ، ويؤلفه العلماء ، حتى تضاعف عدد الكتب فيها.

قصدها العلماء من مختلف انحاء الشام للاستفادة من كتبها وعلمائها، وممن زارها فيلسوف المعرة- ابو العلاء المعري- الشاعر المشهور.

وصلتنا روايات متضاربة عن عدد كتبها، وهي على اختلافها تدل على كثرتها، وانها كانت من معاهد العلم الكبيرة في الاسلام، خدمت العلم والفقه والادب والحكمة اجل خدمة حتى دمرها الصليبيون سنة ٥٥٣ هـ - ١١٠٩م

قال ابن الاثير عند كلامه عن هجوم الصليبيين على طرابلس: فهجموا على البلد وملكوه عنوة، ونهبوا ما فيها، واسروا رجالها، وسبوا نساءها والاطفال، وغنموا من اهلها من الاموال والامتعة وكتب دار العلم ما لا يحد ولا يحصى.

يؤيد هذا ما ذكره ابن خلكان فقال: وحصل في ايديهم من امتعتها وذخائر دار كتب علمها، وما كان في خزائن اربابها ما لا يحد ولا يحصى.

فهم مجمعون على ان تدميرها كان على ايدي الصليبيين، وان ما اتلفوه من كتبها كان عدداً كبيراً ، ونقل جرجي زيدان عن جبون Gibbon

ان عدد الكتب التي احرقها الصليبيون في دار العلم كانت ثلاثة ملايين.

وقال البستاني عند كلامه عن طرابلس : وكانت المدينة – على ماائر المؤرخون – عامرة بالزراعة والصناعة، حتى انهم رووا انه كان فيها نحو من اربعة آلاف نول للنسيج، ناهيك بما كانت تحوي من نتائج العقول، اذ كان فيها مكتبة شهيرة، اختلف الرواة في عدد كتبها بين مقل ومكثر، فالذي اقل لم ينقص عن مائة الف مجلد، والمكثر تجاوز الملايين الثلاثة عداً. قيل وكانت من كتب اليونان والرومان والفرس والعرب .

ومهما يكن من امر،فان دار العلم المذكورة كانت من الدور الجليلة، عامرة بكتبها الكثيرة المتنوعة في شتى المواضيع والعلوم: من علمية وفلسفية وفقهية وادبية بلغات متعددة .

ويذكر ابن الفرات عند كلامه عنها ، واهتمام آل عمار بنشر العلم في طرابلس «ان طرابلس في زمن آل عمار صارت جميعها دار علم» .

ومن المؤسف ان يكون نصيب هذه الكتب الجليلة، كنصيب كثير من كتب دور العلم في الاسلام، التي احرقت او اتلفت او لعبت بها ايدي الجهال، واصحاب الاهواء، كما حدث هذا في الشرق على ايدي التتر، وفي الاندلس على ايدي الاسبان .

فكان مصير هذه الكتب على ايدي قوم جهال ، اعملوا فيها النهب والتدمير والحرق،وتركوها كومة رماد، كما اعملوا السيف في رقاب اهل طرابلس، فلم ينج منهم الا من رحم الله.

دار الحكمة في مراغة

نصير الدين الطوسي احد الاعلام الذين نبغوا في القرن السابع الهجري ولد بمدينة طوس «سنة ٥٩٧هـ=١٢٠١م» وتلقى علوم الحكمة والفلسفة على علامة زمانه كمال الدين بن يونس الموصلي .

كان نصير الدين يتنقل بين بغداد وقهستان، ويأخذ عن العلماء، ثم اتصل بالاسماعيلية فقربه رئيسهم صاحب قلعة «الموت» وعاش في اكنافهم زمناً، والف عندهم معظم كتبه. واتصل بهولاكو، فأعجب به واصطحبه معه في حله وترحاله. وكان هولاكو يطيعه فيما يشير به عليه . فانقذ جماعة من العلماء والحكماء والفلاسفة والمنجمين من القتل. وشنع لهم عند هولاكو. فعفا عنهم. واصطحبهم نصير الدين معه.

اسس نصير الدين بمدينة «مراغة» دار حكمة. جمع فيها كتباً مختلفة من بلاد العراق والجزيرة والشام. وذلك بعد ان استولى عليها «هولاكو» فنقل منها اربعمائة الف مجلد، في شتى العلوم والفنون والمعارف، خاصة في علوم الحكمة والفلسفة والمنطق والهندسة والهيئة والنجوم.

وفي«سنة ٦٦٢هـ=١٢٧٣م» قدم نصيرالدين الى بغداد من جهة هولاكو، فنظر في الاوقاف، واحوال البلد، واخذ كتباً كثيرة من سائر مدارسها، ونقلها الى رصده الذي بناه في مراغة.

ورتب في دار الحكمة من الحكماء والفلاسفة والاطباء والمتكلمين والمحدثين والفقهاء ، وجعل كتب الحكمة والفلسفة والرياضيات في قبة كبيرة، ورتب لمن يشتغل فيها من الجراية ما يكفيهم، فلكل واحد منهم ثلاثة دراهم في اليوم، وجعل بها دار طب، ورتب للطبيب فيها درهمان في اليوم، وبها مدرسة للفقه، لكل فقيه في اليوم درهم واحد، وبها دار حديث، لكل محدث نصف درهم في اليوم .

وفي شهر جمادي الاولى من«سنة ٦٥٧هـ=١٢٦٨م»شيد بجانب دار الحكمة مرصداً ، عرف هذا المرصد بآلاته الدقيقة، وبالعلماء الذين كانوا يشتغلون فيه ، جمع فيه نصير الدين من انقذهم من فتكك هولاكو ، وجاء بهم الى

دار الحكمة في مراغة منهم: ركن الدين الاسترابادي وفخر الدين المراغي من الموصل، والفخر الخلاطي من بتليس، و عز الدين بن الفوطي من بغداد، وقطب الدين الشيرازي، ونجم الدين الاسطرلابي ؛ وظهير الدين الشرواني ، وحسام الدين الشامي .

ويشتغل معهم في الرصد: صدر الدين علي بن الخواجة نصير الدين، واصيل الدين حسن بن الخواجة نصير الدين.

وكان في الرصد من مختلف الآلات شيئاً كثيراً ، منها:

ذات الحلق: وهي خمس دوائر متخذة من نحاس، الاولى دائرة نصف النهار، وهي مركوزة على الارض، ودائرة معدل النهار، ودائرة منطقة البروج، ودائرة العرض، وذائرة الميل.

وفي الرصد ايضاً قبة الدائرة الشمسية يعرف بها سمت الكواكب، واسطرلاب تكون سعة قطره ذراعاً، واسطرلابات كثيرة، وكتب تبحث عن هذه الآلات وكيفية استعمالها.

وان نصير الدين اخذ من هولاكو لعمارة الرصد مبلغاً كبيراً ، واقل ما كان يأخذه بعد فراغ الرصد لاجل الآلات واصلاحها عشرين الف دينار في السنة.

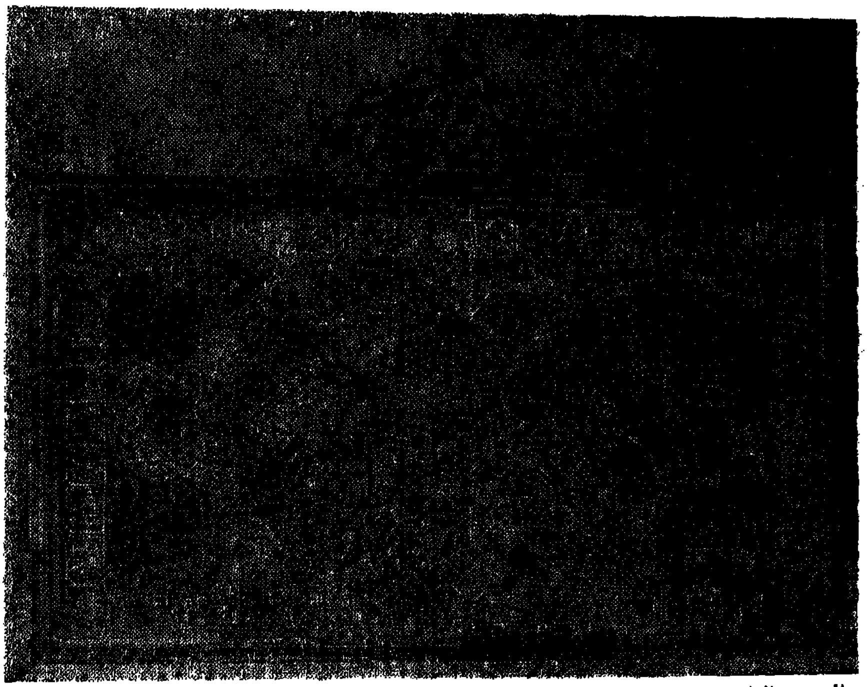
كانت الدار جامعة واسعة، يدرس فيها اشهر العلماء والحكماء والفلاسفة والمنجمون والفلكيون والفقهاء والمحدثون، ولكن كان اهتمامه بعلوم الحكمة والهيئة والفلك اكثر من غيرها، كما يتضح لنا من المرتبات التي عينها للمشتغلين بها.

كان هولاكو قد فوض الى الطوسي ادارة الاوقاف في جميع البلاد التي استولى عليها، فعين نواباً عنه في البلاد، يتولون ادارة الاوقاف، ويرسلون عشر وارداتها اليه، فكان يصرفه على دار الحكمة والرصد. «١»

---

(١) انظر عنها: فوات الوفيات: ٢: ١٤٩-١٥١، الحوادث الجامعه. ٣١٤ ، ٣٤١ ، ٣٥١ ، تاريخ ابن كثير: ١٣: ٢٢٥ ، ٢٤٢ ، مختصر تاريخ الدول: ٥٠٠ ، كشف الظنون: ٩٠٧، الوافي بالوفيات: ١: ١٧٩ ، ١٨٣ ، خزائن الكتب: ١: ١٥٩ ، ١٦٠ .

توفي نصير الدين الطوسي «سنة ٦٧٢هـ=١٢٧٣م» وله تصانيف كثيرة في النجوم والهيئة والمنطق والطبيعة والآلهيات، منها كتاب «اخلاق فارس» يذكر ابن العبري عنه انه في غاية ما يكون من الحسن، جمع فيه نصوص افلاطون وارسطو في الحكمة العملية.



الوجه الثاني من الجدول الفلكي الذي صنعه محمد بن ختلج الموصلي سنة ٦٣٩هـ (١٢٤١ م) .

خَزَائِنُ الحِكْمَة

خزانة الحكمة ـ للفتح بن خاقان

هو الفتح بن خاقان بن احمد «غرطوج» التركي ، وزير الخليفة المتوكل على الله العباسي «٢٣٢ — ٢٤٧ هـ = ٨٤٦ — ٨٦١ م» كان في نهاية الذكاء والفطنة ، وحسن الادب ، زكي النفس ، حسن العشرة ، في غاية الجود والكرم ، اتخذه المتوكل اخاً ، وكان يقدمه على اهله واولاده .

كان فصيحاً شاعراً ، ولعاً بالعلم والادب والفلسفة والطب والنجوم ، وكانت داره مجمع اهل الفضل والادب ، يعقد فيها المجالس العلمية ، والمناظرات الادبية ، ويشارك القوم في علومهم ومعارفهم ، وله مواقف دقيقة معهم ، تدل على منزلته السامية في العلوم ، وتفوقه في الكثير منها .

وله شعر رقيق ، ذكر ياقوت منه نخبة تدل على شعوره المرهف ، وبراعته في اللغة ، وجودة النظم ، كقوله :

ايها العاشق المعذب صبراً فخطايا اخي الهوى مغفوره
زفرة في الهوى احط لذنب من غزاة وحجة مبروره

وهو احد الثلاثة الذين عرفوا بحبهم الشديد للكتب وكثرة المطالعة : الجاحظ ، واسماعيل بن اسحق القاضي ، والفتح بن خاقان .

يذكر عنه المؤرخون : انه قلما كان يفارق الكتاب ، حتى في مجلس الخليفة المتوكل ، فكان يخفي الكتاب في كمه او جيبه اذا حضر ، فاذا قام الخليفة لحاجة اخرج الفتح الكتاب من كمه وقرأه ، الى عودة الخليفة .

كان جماعاً للكتب انفق المبالغ الكبيرة على التراجمة والمؤلفين والنساخين ، فاجتمع عنده نخبة ممتازة من شتى الكتب المختلفة .

وكان الذي يشرف على كتبه ويختارها له : ابو الحسن علي بن يحيى المنجم ، احد علماء عصره ، ذكر ياقوت : ان علياً جمع للفتح «خزانة حكمة» ، نقل اليها من كتبه ، ومما استكتبه الفتح اكثر ماشتملت عليه خزانة

حكمة قط «١» .

ويذكر ابن النديم : انه لم ير اعظم منها كثرة وحسناً ، لما تحويه من الكتب النفيسة في العلوم والآداب ، فتجد فيها كتب الفلسفة والطب والمنطق والرياضيات والنجوم والسير والتاريخ والآداب وغيرها .

ولا شك ان الخزانة كانت تحوي كتب الفتح بن خاقان، وهي : كتاب البستان ، وكتاب اخلاق الملوك ، وكتاب الصيد والجوارح ، وكتاب الروضة والزهر . كما كانت تحوي الكتب التي الفت له مثل : كتاب التاج في اخلاق الملوك ، وكتاب مناقب الترك وعامة جند الخلافة ، وكلاهما للجاحظ . الفهما للفتح ،واخبار الملوك — لمحمد بن الحرث الثعلبي ، وكتاب القبائل الكبيرة والايام ، جمعه للفتح بن خاقان ، محمد بن حبيب ابو جعفر ، وكتب المفضل بن سلمة بن عاصم ابي طالب النحوي اللغوي ، فانه كان منقطعاً الى الفتح بن خاقان ، وله كتب كثيرة .

لم نقف على مصير هذه الخزانة الثمينة بعد مقتل الفتح مع المتوكل «سنة ٢٤٧ هـ = ٨٦١ م» لان اخبارها تنقطع عنا .

« ١ » انظر : معجم الا دباء « ١٦ » : ١٧٤-١٨٦ ١٨ : ١١٦» ، «١٩ : ١٦٣ » مروج الذهب : الفهرست : ١٦٩ فوات الوفيات : ٢ : ١٢٣ .

خزانة الحكمة لآل المنجم في كركر

آل المنجم من الاسر الفارسية العريقة بالعلم، اول من اسلم منهم يحيى بن ابي منصور ، كان متصلا بالفضل بن سهل ، ووصله هذا بالخليفة المأمون فرغبه بالاسلام واسلم على يده ، واختص به المأمون ، وكان من منجميه الذين يعول عليهم في الرصد ، وعهد اليه مع جماعة من المنجمين ان يقوموا برصد الكواكب في الرصد الذى كان بالشماسية ببغداد ، والرصد في جبل قاسيون بدمشق ، وذلك في «سنة ٢١٥ – ٢١٧ هـ = ٨٣٠– ٨٣٢ م ».

ثم سافر الى بلاد الروم لتحصيل كتب الحكمة ، فتوفي بطرسوس، ونقل الى حلب ودفن بمقابر قريش ، وانجب اولاداً كانوا علماء اعلام .

كان اشهرهم «ابو الحسن علي » على جانب من العلم والادب ، راوية للاخبار والاشعار ، شاعراً حسناً . اخذ عن اسحق الموصلي الادب وصنعة الغناء .

اتصل بمحمد بن اسحق بن ابراهيم المصعبي ، ثم اتصل بالفتح بن خاقان وزير المتوكل على الله العباسي ، وقد مربنا انه عمل له خزانة حكمة كبيرة كانت من الخزانات المعدودة في العصر العباسي .

ثم اتصل بالخليفة المتوكل ، وصار من ندمائه المتقدمين عنده ، وبقي مختصاً بالخلفاء ، يجالسهم وينادمهم ويغنيهم ، الى ايام المعتمد على الله .

وبلغ من المنزلة عندهم انه كان يجلس بين يدي اسرتهم ، ويقصون عليه باسرارهم ، ويأمنونه على اخبارهم ، ولم يزل على هذا حتى توفي «سنة ٢٧٥ هـ = ٨٨٨ م» ودفن «بسرمن رأى» ورثاه اجل شعراء عصره : مثل عبد الله بن المعتز ، وعبيد الله بن عبد الله بن طاهر وغيرهما «١» .

كان شاعراً راوية اخبارياً علامة بايام العرب واخبارها ، وله مؤلفات

« ١ » انظر : معجم الشعراء للمرزباني: ٢٨٦ ، ٢٨٧ ، الفهرست : ٣٨ ، ٢٠٥ ، معجم الادباء: ١٥ ١٤٤-١٧٥ ، اخبار العلماء: ٢٤ ، تاريخ بغداد: ٢ : ١٢١ ، ١٢٢ ، نشوار المحاضرة: ٨ : ١٠٨

بهذا الباب، مثل: كتاب الشعراء القدماء والاسلاميين ، وكتاب اسحق بن ابراهيم ، وكتاب الطبيخ وغيرها .

كان هو واخوته من الذين يعنون بكتب الحكمة والفلسفة والمنطق والموسيقى ، ولهم جماعة من التراجمة يشتغاون بترجمة الكتب التي يرغبون فيها، منهم : حنين بن اسحق ، واصطفن الراهب ، واسحق بن حنين ، وثابت بن قرة بن مروان الحراني الصابي وغيرهم . ونقلت عدة كتب باسم ابي الحسن علي،فنقل له اصطفن الراهب هو واسحق بن جنين كتاب المقاييس لجالينوس ، والف له ثابت بن قرة بن مروان الحراني الصابي كتاباً في علم الموسيقى ، وعمل له حنين فهرست كتاب جالينوس وغيرها من الكتب .

فكانت داره مجمعاً لاهل العلوم والآداب ، وكان هو يقربهم الى الخلفاء والامراء . ويستخرج لهم منهم الصلات .

وانجبت اسرة علمية يقول عنهم «الآمدي» : وهو واهله وولده واولادهم ، في البيت الخطير من الدين والادب والشعر والفضل ، ولا اعلم بيتاً اتصل فيه الى هذه الانواع الشريفة مااتصل لهم وفيهم .

ويقول التنوخي عند كلامه عن احد احفاده ابي العباس هبة الله بن محمد بن يوسف : ومحل اهله وسلفه وبيته في منادمة الخلفاء والوزراء والامراء مشهور ، وموضعهم من الكلام والنجوم والعلم والادب وقول الشعر وتصنيف الكتب في انواع ذلك معروف .

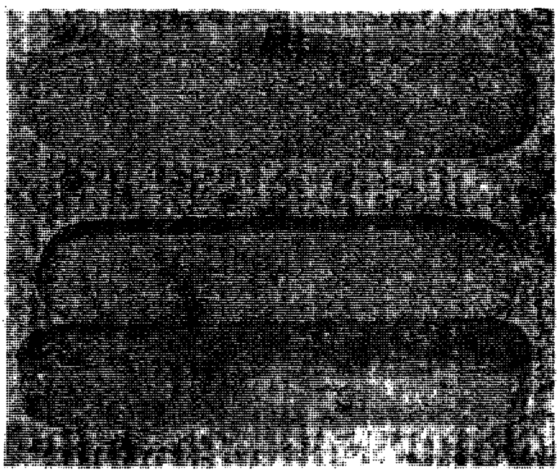
واراد ابو الحسن علي ان يخلد ذكره ، وذكر آل المنجم بدار كتب جليلة . تجمع صنوف كتب الحكمة والفلسفة والمنطق والنجوم والموسيقى والآداب والتاريخ وغيرها من العلوم ، تكون مرجعاً لمن يقصدها من الناس على اختلاف طبقاتهم ، وجعل بها من التسهيلات التي تساعد على المطالعة والنسخ والدرس ، تقدم لهم الكتب ، ويبذل لهم مايحتاجونه من ادوات الكتابة ولوازمها ، وما يلزمهم من طعام ومسكن ، ماداموا بدار الكتب المذكورة ، فكان يرتادها العلماء والادباء وطلاب العلم ، فيجدون مايساعدهم

على التحصيل .

قال ياقوت الحموي : كان بكركر من نواحي القفص ضيعة نفيسة لعلي بن يحيى المنجم ، وقصر جليل ، فيه خزانة كتب عظيمة ، يسميها « خزانة الحكمة » يقصدها الناس من كل بلد فيقيمون فيها ، ويتعلمون منها صنوف العلم ، والكتب مبذولة في ذلك لهم ، والصيانة مشتملة عليهم ، والنفقة في ذلك من مال علي بن يحيى ، فقدم ابو جعفر المنجم من خراسان يريد الحج وهو اذ ذاك لايحسن كبير شيء من النجوم ، فوصفت له الخزانة فمضى وراءها فهاله امرها ، فاقام بها واضرب عن الحج وتعلم فيها علم النجوم ، واعرق فيه حتى الحد . وكان ذلك آخر عهده بالحج والدين وبالاسلام ايضاً .

لم نقف على مصير هذه الخزانة النفيسة التي حوت كتباً نادرة في شتى العلوم والآداب ، وحوت مؤلفات آل المنجم ، والكتب التي ترجمت لهم وألفت باسمهم .

ونحن نرجع ان الخزانة بقيت على حالها بعد موت ابي الحسن علي ، لان اولاده واحفاده ساروا على نهجه ، من محبة العلوم والآداب ، فلا شك ان الخزانة لاقت من عنايتهم مالاقته من مؤسسها علي .



محبرة من النحاس المطعم بالذهب صنعت في الموصل سنة ٦٨٠ هـ

صوان الحكمة في بخارى

منصور بن نوح بن نصر الساماني «٣٥٠ – ٣٦٦ هـ = ٩٦١ – ٩٧٧ م» من ملوك الدولة السامانية التي كانت ماوراء النهر، وكانت عاصمتها مدينة بخارى .

كانت الدولة السامانية تعني بالعلم والعمران ، وازدهرت بخارى على عهدهم ، وصارت من المدن التي تشد اليها الرحال .

شيد السامانيون فيها دار كتب كبيرة سموها «صوان الحكمة» لما تحويه من كتب الحكمة المختلفة، يقصدها العلماء والحكماء والادباء للمطالعة فيها والاخذ عن العلماء والحكماء المتصدرين فيها ، والدار واسعة فيها عدة قاعات ، في كل منها صناديق فيها كتب علم واحد ، فغرفة للشعر واخرى للحكمة وثالثة للفلسفة الخ . . . . .

وخير من وصف هذه الدار هو العلامة ابن سينا عند كلامه عن اتصاله بسلطان بخارى نوح بن منصور فقال : فسألته يوماً الاذن لي في دخول دار كتبهم ، ومطالعتها وقراءة مافيها من كتب الطب ، فاذن لي ، فدخلت داراً ذات بيوت كثيرة ، في كل بيت صناديق كتب ، منفصلة بعضها على بعض، في بيت كتب العربية والشعر ، وفي آخر الفقه ، وكذلك في كل بيت علم مفرد ، وطالعت فهرست كتب الاوائل ، وطلبت مااحتجت اليه ، ورأيت من الكتب مالا يقع الى كثير من الناس قط ، ولا رأيته ايضاً من بعد . وقرأت تلك الكتب ، وظهرت فوائدها . وعرفت مرتبة كل رجل في علمه ، فلما بلغت ثماني عشرة سنة من عمري فرغت من هذه العلوم كلها«١» .

وكان الملوك السامانيون يبذلون الرغائب للعلماء والفلاسفة الذين كانوا يغذون المكتبة المذكورة بالمؤلفات العلمية والفلسفية المختلفة ، فحوت فرائد

«١» اخبار العلماء: ٢٧١

من علوم الحكمة والفلسفة والطب والفلك والرياضيات . فضلا عما كان فيها من كتب الادب والفقه والسير والتاريخ وغيرها .

ومن الكتب الفريدة التي كانت تحويه هذه الخزانة كتب ارسطو . فقد حرص منصوربن نوح الساماني ان يحصل على ترجمة فريدة من كتبه . وعهد بالامر الى الفارابي الفيلسوف المشهور ، فجمع الفارابي من بينها ترجمة ملخصة محررة مهذبة . مطابقة لما عليه الحكمة . ونقل كما اراد وسمى كتابه «بالتعليم الثاني» فلذلك لقب بالمعلم الثاني . وكان هذا في خزانة المنصور الى زمان السلطان مسعود من احفاد المنصور . كما هو مسود بخط الفارابي غير مخرج الى البياض . وكان الفارابي غير متلفت الى جمع تصانيفه ، وكان الغالب عليه السياحة زي القلندرية ، وكانت تلك الخزانة تسمى «صوان الحكمة» «٢» .

والشيخ الرئيس ابو علي ابن سينا تقرب الى المنصور بسبب الطب ، حتى استوزره ، وسلم اليه خزانة الكتب ،فاخذ الشيخ الحكمة من هذه الكتب . واستفاد منها استفادة كبيرة باطلاعه على مختلف الكتب التي فيها ،خاصة الطبية والفلسفية .

ومن الكتب التي استعان فيها في دراسته : كتاب التعليم الثاني ، فانه عكف على دراسته بكل جد وامعان ، ولخص منه كتاب الشفاء ، وان ابن سينا يعترف باستفادته من هذه المكتبة ومن التعليم الثاني خاصة .

وكانت نهاية هذه الخزانة محزنة ، فانها احترقت ولا يعلم سبب احتراقها . وقد نسب بعضهم هذا الى ابي علي ابن سينا بانه اخذ من تلك الخزانة الحكمة . والف منها مصنفاته ثم احرقها لئلا ينتشر بين الناس بانه اخذ الحكمة من كتب الفارابي وغيره . وهذا افتراء على ابن سينا لانه صرح في رسائله وفي الشفاء بان كتابه عبارة عن تلخيص التعليم الثاني للفارابي «٣» .

«٢»،«٣» كشف الظنون: ٢:٦٨٢ ، ٦٨٣ .



جدول للحساب الفلكي ـ صنعه محمد بن ختلج الموصلي سنة ٦٣٩هـ = ١٢٤١ م
وكتب اسمه وتاريخ صنعه عليه .

دُورُ العِلْمِ

دار علم جعفر بن حمدان في الموصل

ابو القاسم جعفر بن حمدان الموصلي «٢٤٠–٣٢٣هـ=٨٥٤–٩٣٤م» احد فقهاء الشافعية ،وله تآليف جليلة في الفقه، كما كان مضطلعاً بعلوم كثيرة: في الاصول والحكمة والهندسة والشعر والادب . ناقداً بصيراً للشعر، كثير الرواية له.

كان صديقاً لعلماء عصره وشعرائهم . وله مراسلات معهم كثعلب والمبرد والبحتري الشاعر، ورثاه بعد موته بقصيدة منها قوله:

تعولت البدائـــع والقصيد　　واودى الشعر مذ اودى الوليد
واظلم جانب الدنيا وعادت　　وجوه المكرمات وهن سود
فقل للدهر يجهد في الرزايا　　فليس وراء فجعته مزيد

دخل بغداد ومدح الخليفة المعتضد بالله العباسي بقصيدة طويلة ، ذكر فيها ما يحسنه من العلوم الدينية والادبية ، وتبجح بمعرفة اقليدس واشكاله، وزيادات زادها في اعماله. واتصل بالوزير قاسم بن عبيدالله، وله تآليف كثيرة في الادب، فريدة في بابها.

قال عنه ياقوت: حسن التأليف، عجيب التصنيف، شاعر اديب فاضل ناقد للشعر. ومن تآليفه: الباهر في اشعار المحدثين، عارض فيه كتاب الروضة لصديقه المبرد، وكتاب الشعر والشعراء الكبير، لم يتم ولو تم لكان غاية في معناه، وكتاب السرقات لم يتم ايضاً، ولو اتمه لاستغنى الناس عن كل كتاب في معناه، وكتاب محاسن اشعار المحدثين ، وغيرها.

واشتهر ابن حمدان بدار العلم التي اسسها في الموصل، وهي اقدم دار علم– في الاسلام– وقفنا على اخبارها. كانت الدار تفتح كل يوم لطلاب العلم والادب والفقه، فيجدون فيها الكتب المختلفة، وادوات الكتابة ولوازمها، وان كانوا معسرين فانه كان ينفق عليهم من ماله.

قال ياقوت: كان ابن حمدان كبير المحل من اهل الرياسات بالموصل، ولم

يكن بها في وقته من ينظر اليه، ويفضل في العلوم سواه، متقدماً في الفقه، معروفاً به، قوياً في النحو فيما يكتبه ، عارفاً بالكلام والجدل مبرزاً فيه، حافظاً لكتب اللغة راوية للاخبار، بصيراً بالنجوم، عالماً مطلعاً على علوم الاوائل، عالي الطبقة فيها. وكان صديقاً لكل وزراء عصره، مداحاً لهم، آنساً بالمبرد وثعلب وامثالهما من علماء الوقت، مفضلا عندهم. وكانت لهببلده«دار علم» قد جعل فيها خزانة كتب من جميع العلوم، وقفاً على كل طالب للعلم، لا يمنع احد من دخولها، اذا جاءها غريب يطلب الأدب، وان كان معسراً اعطاه ورقاً وورقاً، تفتح في كل يوم، ويجلس فيها اذا عاد من ركوبه، ويجتمع اليه الناس، فيملي عليهم من شعره وشعر غيره ومصنفاته، وشيئاً من النوادر المؤلفة ، وطرفاً من الفقه وما يتعلق به، ثم يملي من حفظه من الحكايات المستطابة .

لا نعلم ما آلت اليه الدار المذكورة بعد نكبة ابن حمدان، فان جماعة من اهل الموصل حسدوه على محله وجاهه عند الخلفاء والوزراء والعلماء، وكان قد جحد بعض اولاده، وزعم انه ليس منهم، فعاندوه بسببه. وزعموا انه نفاه ظلماً، واجتهدوا ان يلحقوه به فما تم لهم، فاجتمعوا وكتبوا فيه محضراً وشهدوا عليه فيه بكل قبيح عظيم ونفوه عن الموصل، فانحدر هارباً منهم الى مدينة السلام، ومدح المعتضد بقصيدة يشكو فيها ما ناله منهم، ويصف ما يحسنه من العلوم، ويستشهد بثعلب والمبرد وغيرهما.

وبعد هذا الحدث تنقطع عنا اخبار الدار التي خدمت الموصل، ويسرت لاهلها سبل العلم والادب «١» .

« ١ » انظر : الفهرست: ٢١٣، معجم الا دباء : «٦ : ٣٥٩»، «٧ : ١٩-٢٠٥»، الحضارة الاسلامية ١ : ٢٩٠-٢٩٤، المنتظم: «٧ : ١٧٢، ٢٦٦» ، «٨ : ٢٢»، الكامل: ٩: ٢٥، ١٢١، البداية والنهاية: «١١ : ٣١»، «١٣ : ٣٥»، ذيل تجارب الامم: ٢٥٢ السنة الاولى من مجلة عالم الغد.

دار علم البستي

أبو حاتم محمد بن حبان بن احمد بن معاذ التميمي البستي. الحافظ الجليل، كان من فقهاء الدين واللغة. وحفاظ الآثار، عالماً بالطب والنجوم وفنون العلم، وله التآليف الجليلة. منها المسند والتاريخ. وفقه الناس بسمرقند. وكان من اوعية العلم ومن عقلاء الرجال. سافر ما بين الشاش والاسكندرية، واخذ عن كثير من شيوخ الائمة والعلماء. تولى قضاء سمرقند مدة طويلة. ورد نيسابور «سنة ٣٣٤هـ= ٩٤٥م »وكانت الرحلة اليه والى مصنفاته في خراسان. ثم عاد الى بلده وبنى بقرب داره مدرسة لأصحابه، ومسكناً للغرباء الذين يقيمون بها من اهل الحديث والمتفقهة، ولهم جرايات يستنفقونها دارة، وفيها خزانة كتبه، في يدي وصي سلمها اليه، ليبذلها لمن يريد نسخ شيء منها في الصفة، من غير ان يخرجه منها، توفي «سنة ٣٥٤هـ=٩٦٥م »ودفن بداره قرب مدرسته هذه، وكان قبره يزار بعد موته.

كانت الدار مفتوحة لكل قاصد، فان كان غريباً اقام بها، وتجرى عليه النفقة مما أرصد على الدار، والكتب في متناول كل احد، من غير ان يخرجها من الدار.

بقيت الدار الى اوائل القرن الخامس للهجرة— على ما عثرنا عليه— قال ياقوت نقلا عن ابي عبد الله الحاكم «٣٢١—٤٠٥هـ= ٩٣٣—١٠١٤م». انها اليوم مدرسة لأصحابه، ومسكن للغرباء الذين يقيمون بها من اهل الحديث والمتفقهة......الخ «١» .

«١» معجم البلدان: ٢ : ١٧٥-١٧٦، تذكرة الحفاظ :٣ : ١٢٥-١٢٩، طبقات الشافعية: ٢ : ١٤١-١٤٣، الانساب للسمعاني: ٥٨٠، البداية والنهاية: ١١ : ٢٥٩ .

دار علم سابور ـ في بغداد

اسسها ابو نصر سابور بن اردشير «سنة٣٣٦-٤١٦هـ=٩٤٧-١٠٢٥م» وهو احد وزراء الدولة البويهية، وزر لبهاء الدولة ثلاث مرات، ووزر لشرف الدولة ايضاً، كان يحب الخير عفيفاً عن اموال الناس، يحب العلم وأهله، قرب العلماء والشعراء واهل الفضل، وخلد ذكره في دار علم انشأها ببغداد بين السورين بجانب الكرخ.

ففي« سنة ٣٨٣هـ=٩٩١م» ابتاع داراً كبيرة فيالكرخ بين السورين. وعمرها وبيضها، وسماها«دار العلم» ووقفها على اهله الذين ينتفعون بها، ونقلاليها كتباً كثيرة،ابتاعها وجمعها، ووقف عليها الوقوف التي تكفل الانفاق عليها، وعلى من يقوم بنظارتها،وخزان الكتب والبوابين وغيرهم.

كانت الدار تحوي آلاف الكتب بالخطوط المنسوبة. فذكروا ان عدد كتبها يزيد على عشرة آلاف مجلد، في شتى العلوم والمعارف: فنجد فيها كتب الأدب والفقه والحديث والطب والفلسفة وغيرها.

ومما يدلنا على اهميتها العلمية، ان بعض المؤلفين كانوا يخلدون ذكرهم بتقديم نسخة مما يؤلفونه من الكتب القيمة، الى دار العلم، ليكون مرجعاً للعلماء والمتعلمين الذين يرتادونها للدرس والمطالعة والنسخ، والى ما يجري فيها من المناظرات العلمية والمساجلات الأدبية.

ومن ذلك: ان جبرائيل بن عبد الله بن بختيشوع« المتوفى سنة ٣٩٦هـ= ١١٠٥م»بعد ان اتم كناشه الكبير في الطب- وهو في خمس مجلدات-وسماه «بالكافي»نسبة الى كافي الكفاة الصاحب بن عباد،فانه وقف نسخة منه على دار العلم المذكورة «١».

واحمد بن علي بن خيران الكاتب المصري ابو محمد الملقب بولي الدولة، صاحب ديوان الانشاء بمصر بعد ابيه تقلد ديوان الأنشاء للظاهر ثم للمستنصر،وتوفي

«١» اخبار العلماء: ١٠٥.

«سنة ٤٣١هـ=١٠٣٩م» فأنه سلم الى ابي منصور الشيرازي ــ رسول ابن النجار الى مصر من بغداد ــ «١» جزأين من شعره، ورسائله ليعرضها على الشريف المرتضى ابي القاسم وغيره، ممن يأنس به من رؤساء البلد، ويستشير في تخليدها دار العلم، لينفذ بقية الديوان والرسائل ان علم ان ما انفذه منها ارتضي واستجيد.

وصار للدار شهرة في العالم الأسلامي . لما تحويه من نفائس الكتب، ومن كان يتصدر بها من العلماء والأدباء، فكانت مجمع اهل العلم والأدب في بغداد، وهي مما حملت فيلسوف المعرة ابي العلاء المعري ان يرحل الى بغداد سنة ٣٩٩هـ فاجتمع بعلمائها وادبائها. واجتمع اليهم وجادلهم وناظرهم، وتركت الدار اثراً في نفسه ذكرها عدة مرات في رسالة الغفران وفي غيرها من مؤلفاته «٢»

ومن ذلك انه كتب الى اهل المعرة، يعرفهم سبب رحلته الى بغداد، جاء فيها: واحلف ما سافرت استكثر من النشب ، ولا اتكثر بلقاء الرجال، ولكن آثرت الاقامة «بدار العلم»، فشاهدت انفس مكان. ولم يسعف الزمن الاقامة فيه...... الخ.

ومما يجدر ذكره ان فيلسوف المعرة سمع حمامة تصيح بدار العلم فقال : «٣»

وغنت لنا في دار سابور قينة ... من الورق مطراب الا صائل ميهال
رأت زهراً غضاً فهاجت بمزهر ... مثانيه احشاء لطفن واوصال
فقلت تغني كيف شئت فانما ... غناءك عندي يا حمامة اعوال
وتحسدك البيض الحوالي قلادة ... بجيدك فيها من شذى المسك تمثال

وكان بعضهم يدرس فيها فيجتمع اليهم طلاب العلم يأخذون عنهم. جاء في معجم الأدباء عند كلامه عن علي بن فضال المجاشعي المغربي المتوفى «سنة ٤٧٩هـ =١٠٨٦م »وكان من علماء زمانه وله عدة تآليف في علوم مختلفة وانه كان يدرس فيها النحو.

« ١ » الاغاني: ١ : ٣٥ .

« ٢ » « ٣ » تعريف القدماء بأبي العلاء: ٢٢٢ .

وان ابا القاسم بن نامية دخل عليه دار العلم فوجده يدرس النحو في يوم بارد فقال : «١».

اليوم يوم قارس بارد كأنـة نحو ابن فضال
لا تقرؤا النحو ولا شعره فيعتري الفالج في الحال

وكان يعهد لادارة هذه الدار الى اجل العلماء والادباء، وممن تولاها :

١– ابو احمد عبد السلام بن الحسين بن احمد البصري اللغوي المعروف بالواجكا «المتوفى سنة ٤٠٥هـ» كان عالماً اديباً قارئاً للقرآن عارفاً بالقراءات وهو الذي استقبل ابا العلاء المعري «٢» في هذه الدار، وعرض عليه اسماء ما فيها من كتب، فلم يستغرب فيها شيئاً لم يره بدور العلم بطرابلس سوى «ديوان تيم اللات» ، فاستعاره منه، وخرج من بغداد سنة ٤٠٠هـ ، واعاده اليه بعد ان وصل بلدته المعرة، واثنى عليه المعري عدة مرات.

٢– ابو منصور محمد بن علي بن اسحق بن يوسف الكاتب الخازن «المتوفى سنة ٤١٨هـ.» كان له معرفة بالادب واللغة، وكان يتفقه على مذهب الشيعة، وهو فقيه في مذهبم ومفتيهم، وذكره المعري في رسالة الغفران على لسان جارية كانت تخرج الكتب للنساخ والمطالعين اسمها توفيق «٣».

٣– ابو عبد الله بن حمد وكان يشتغل مع الخازن ويشرف على خزانة الكتب.

٤– الشريف المرتضى ابو القاسم علي بن الحسن الموسوي نقيب الطالبيين المتوفى سنة ٤٣٦هـ – صاحب الآمالي– وهو من اجل كتب الادب والتفسير «٤».

٥– ابو يوسف الاسفراييني كان خازن الكتب بها.

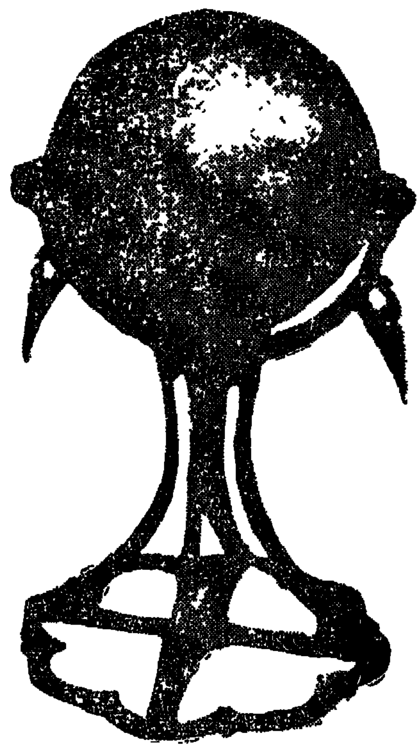
«١» معجم الادباء-١٤ : ٩٠-٩٩

«٢» انباه الرواة: ١ :٥٠-٥١

«٣» «٤» انباه الرواة: ٣:٤٨، معجم الادباء: ١٧:٢٦٧-٢٦٩، المنتظم:٩:١٨٩ انظر عن دار العلم المذكورة ايضاً: معجم الادباء «٤:٥-٦» ، «١٤:٩٢،٨٩» المنتظم:٨: ٢٢، شذرات الذهب: ٣:١٠٤، ذيل تجارب الامم: ٢٥٢ الكامل:٩:١٣٢، وفيات الاعيان: ٢:٥٢١، تاريخ بغداد: ١١:٥٧،٥٨ اللباب :٣:٣١٥ ، البداية والنهاية «١١:٣١٢» «١٢:١٩» عيون الانباء: ١:١٣٦– مجلة عالم الغد العدد :٩: من السنة الاولى.

واستمرت الحركة العلمية في الدار حتى«سنة ٤٥١هـ= ١٠٥٩م»فاحترقت الدار، ذكر ابن الجوزي حادثة احتراقها في حوادث السنة المذكورة فقال:

وفيها احترقت ببغداد الكرخ وغيره بين السورين ، واحترقت فيها خزانة الكتب التي اوقفها سابور بن اردشير الوزير. ونهبت بعض كتبها، وجاء عبد الملك الكندري وزير طغرلبك فاختار من الكتب خيرها، وكان بها عشرة الآف مجلد، واربعمائة مجلد من اصناف العلوم منها مائة مصحف بخط بني مقلة، وكان العامة قد نهبوا بعضها لما وقع الحريق،فازالهم عبد الملك، وقعد يختارها، فنسب ذلك الى سوء سيرته، وهكذا كانت نهاية الدار .



كرة ارضية صنعها محمد بن هلال الموصلي
سنة ٦٤٧هـ ١٢٧٥م كما هو مكتوب عليها

دار علم غرس النعمة الصابي

هو محمد بن هلال بن المحسن بن ابراهيم الصابي ، ابو الحسن الملقب بغرس النعمة، صاحب التاريخ المسمى «عيون التواريخ» ذيله على تاريخ ابيه . وكان غرس النعمة هذا فاضلا اديباً مترسلا ، وله صدقة ومعروف، محترماً عند الخلفاء والملوك والوزراء، «توفي سنة ٤٨٠هـ. » .

ومن محاسنة دار العلم التي اسسها ببغداد«سنة ٤٥٢هـ= ١٠٦٠م»قال عنها ابن الجوزي في حوادث هذه السنة: وفي رجب وقف غرس النعمة محمد بن هلال الصابي دار كتب بشارع ابن ابي عوف من غربي مدينة السلام، ونقل اليها نحو من الف كتاب «١» .

وكان السبب في هذا ان الدار التي وقفها سابور الوزير— بين السورين— احترقت ونهب اكثر ما فيها، فبعثه الخوف على ذهاب العلم ان وقف هذه الكتب.

وجاء في الهفوات النادرة لغرس النعمة انه : رتب عنده في خزن الكتب بدار العلم من شارع ابن ابي عوف— ابو طاهر بن ابي قيراط العلوي— فكان هذا يشرف على خزن الكتب «٢» . وممن تولى بها خزن الكتب ابو محمد يحيي بن محمد الاقساسي العلوي ، المتوفى سنة نيف وسبعين واربعمائة ، فتصرف هذا في كتبها، فحك ذكر الوقف منها وباعها «٣» .

«١» المنتظم: ٨:٢١٦، النجوم الزاهرة: ٥:١٢٦٦

«٢» ص ١٧٥

«٣» معجم البلدان : ٢:٣٤٢

دار علم ابن المارستانية

ابو بكر عبيد الله بن علي التيمي البكري، المعروف بابن المارستانية المتوفى «سنة ٥٩٩هـ= ١٢٠٢م» كان ابوه وامه يخدمان المرضى بالمارستان العضدي، الذي اسسه عضد الدولة البويهي ، على دجلة في بغداد. فنشأ عبيد الله نشأة علمية، فكان يعرف الطب والحكمة وعلم النجوم، وله حلقة بجامع القصر في كل يوم جمعة، يقرىء فيها الحديث، ويجتمع اليه الناس فيأخذون عنه. وكانت بينه وبين عبيد الله بن يونس صداقة فلما وزر هذا اختص به وقربه.

كان ابن المارستانية مغرماً بجمع الكتب، فحصل كتباً كثيرة، وبنى داراً بدرب الشاكرية ببغداد ، سماها «دار العلم» وجعل فيها خزانة علم، اوقفها على طلاب العلم، وبها كتب كثيرة منوعة . منها كتابه الذي الفه في تاريخ بغداد وسماه «ديوان الاسلام في تاريخ دار السلام».

وكان يتولى النظر على البيمارستان العضدي، فلم تحمد سيرته فيه، وقبض عليه وسجن مع المجانين، مسلسلا في المارستان مدة.

وبيعت دار العلم وما كانت فيها من كتب واثاث، ثم اطلق سراحه بعد هذا واخذ يطب الناس . وصادف قبولا منهم ، فأثرى وحسنت حاله ، وحصل كتباً كثيرة «١» .

« ١ » انظر: البداية والنهاية: ١٣ : ٣٥، شذرات الذهب: ٤ : ٣٤٠، مجلة عالم الغد، السنة الاولى «٢٩٨-٢٩٩» مجلة المجمع العلمي العراقي ٧:٢٥٧

المصادر

أحمد بن عامر .

١ـ تونس عبر التاريخ ـ تونس ١٣٧٩هـ=١٩٦٠م .

ألامير علي .

٢ـ مختصر تاريخ العرب والتمدن الاسلامي ـ بغداد ١٩٢٨م .

آدم ميتز .

٣ـ الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري ـ مصر ١٣٥٦هـ .

أحمد أمين .

٤ـ ضحى الاسلام ـ مصر ١٣٥٥هـ .

أبن أبي أصيبعة «موفق الدين أحمد» .

٥ـ عيون الانباء في طبقات الاطباء ـ مصر.

ألاصفهاني «محمد بن محمد» .

٦ـ دولة آل سلجوق ـ مصر ١٣١هـ.

أبن الاثير «عز الدين» .

٧ـ الكامل في التاريخ ـ مصر ١٢٥٠هـ .

البستاني « بطرس » .

٨ـ دائرة المعارف ـ بيروت ١٨٧٦م.

البيهقي «أبراهيم بن محمد».

٩ـ المحاسن والمساويء ـ مصر ١٣٢٥هـ .

التنوخي « المحسن بن علي » .

١٠ـ نشوار المحاضرة ـ دمشق ١٣٤٨هـ.

أبن تغرى بردي «يوسف».

١١ـ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ـ مصر ١٣٥٠هـ.

جرجي زيدان .

١٢ـ تاريخ التمدن الاسلامي ـ مصر ١٩٢٠م .

الجهشياری « محمد بن عبدوس » .
١٣– الوزراء والكتاب– طبعة الصاوي .
أبن جلجل الاندلسي « سليمان » .
١٤– طبقات الاطباء والحكماء– مصر ١٩٥٥م .
أبن الجوزي « عبد الرحمن » .
١٥– المنتظم في تاريخ الملوك والامم– حيدر آباد ١٣٥٧ه .
أبن كثير « اسماعيل » .
١٦– البداية والنهاية– مصر ١٣٤٨ه .
حتي « فليب » .
١٧– العرب – بيروت ١٩٤٦م .
حاجي خليفة .
١٨– كشف الظنون– الآستانة ١٩٤١م .
أبن خلدون « عبد الرحمن » .
١٩– العبر وديوان المبتدأ والخبر– مصر ١٢٨٤ه .
الخطيب البغدادي « أحمد بن علي » .
٢٠– تاريخ بغداد– مصر ١٣٤٩ه .
أبن خلكان «أحمد».
٢١– وفيات الاعيان– مصر ١٣١٠ه.
الدينوري « أحمد بن داود » .
٢٢– الاخبار الطوال– مصر ١٣٣٠ه .
الديوهجي « سعيد » .
٢٣– الامير خالد بن يزيد– دمشق ١٣٧٢ه.
الذهبي « شمس الدين محمد » .
٢٤– ميزان الاعتدال في نقد الرجال– مصر ١٣٢٥ه .
السبكي « عبد الوهاب » .
٢٥– طبقات الشافعية– مصر ١٣٢٤ه .
السيوطي « جلال الدين » .

٢٦ـ بغية الوعاة في طبقات النحاة ـ مصر.
أبن شاكر « محمد » .
٢٧ـ فوات الوفيات ـ مصر ١٢٩٠هـ .
صاعد بن أحمد الاندلسي.
٢٨ـ طبقات الامم ـ مصر.
الصفدي « صلاح الدين خليل بن أيبك » .
٢٩ـ الوافي بالوفيات ـ أستانبول ١٩٣١م .
الطرابلسي «نوفل بن نعمة الله» .
٣٠ـ صناجة الطرب في تقدمات العرب ـ بيروت.
طرازي « الفيكونت فيليب » .
٣١ـ خزائن الكتب القديمة في الخافقين ـ بيروت .
طوقان « قدري الحافظ » .
٣٢ـ تراث العرب العلمي . الرياضيات والفلك ـ مصر ١٩٣١م .
طيفور « أحمد بن طاهر » .
٣٣ـ بغداد ـ مصر ١٣٦٦هـ .
أبن العبري « غريغوريوس » .
٣٤ـ تاريخ مختصر الدول ـ بيروت ١٨٩٠م .
أبن العماد الحنبلي « عبد الحي » .
٣٥ـ شذرات الذهب في أخبار من ذهب ـ مصر ١٢٥٠هـ .
عنان « محمد عبد الله » .
٣٦ـ تراجم اسلامية ـ مصر ١٩٤١م .
أبو الفداء « أسماعيل » .
٣٧ـ المختصر في أخبار البشر ـ مصر .
ابن الفرات « محمد بن عبد الرحيم ».

٣٨ـ تاريخ ابن الفرات ـ بيروت ١٩٣٩م.
فريد وجدي «محمد».
٣٩ـ دائرة معارف القرن الثالث عشر «العشرين» .
أبن الفوطي « عبد الرزاق » .
٤٠ـ الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة ـ بغداد ١٣٥١هـ.
القفطي « جمال الدين علي بن يوسف » .
٤١ـ أخبار العلماء في أخبار الحكماء ـ مصر ١٣٢٦هـ .
٤٢ـ انباه الرواة على أنباه النحاة ـ مصر ١٣٦٩هـ .
القلقشندي « أحمد » .
٤٣ـ صبح الاعشى في صناعة الانشا ـ مصر ١٣٣١هـ .
كرد علي « محمد » .
٤٤ـ خطط الشام ـ دمشق ١٣٢٣هـ .
المدور « جميل نخلة » .
٤٥ـ حضارة الاسلام في دار السلام ـ مصر ١٣٢٣هـ .
المرزباني « محمد بن عمران » .
٤٦ـ معجم الشعراء ـ القدس ١٣٥٤هـ .
مسكويه « أحمد بن محمد » .
٤٧ـ تجارب الامم ـ مصر ١٣٣٢هـ .
المسعودي « علي » .
٤٨ـ التنبيه والاشراف ـ طبعة الصاوي .
٤٩ـ مروج الذهب ـ مصر ١٣٤٦هـ .
المقري « لسان الدين الخطيب » .
٥٠ـ نفح الطيب في أخبار غصن الاندلس الرطيب ـ مصر ١٣٠٤هـ .
المقريزي « تقي الدين أحمد » .
٥١ـ الخطط ـ المواعظ والاعتبار ـ مصر ١٣٢٤هـ .

٥٢– أتعاظ الحنفا بأخبار الخلفا– مصر .
أبن النديم« محمد بن أسحاق» .
٥٣– الفهرست– مصر– ١٣٤٨هـ .
هلال الصابي «غرس النعمة» .
٥٤– الهفوات النادرة– دمشق ١٣٨٧ .
ياقوت الحموي .
٥٥– معجم الادباء– طبعة دار المأمون ١٣٥٥هـ.
٥٦– معجم البلدان– طبعة الخانجي.
اليعقوبي «أحمد» .
٥٧– مشاكلة الناس لزمانهم– بيروت ١٩٦٢م.
٥٨– مجلة الاديب البيروتية– الجزء التاسع من السنة الثانية ١٩٤٣م.
٥٩– ثقافة الهند– العدد الثاني من السنة الثانية.
٦٠– مجلة عالم الغد– السنة الاولى – العدد ٨–١٠ .
٦١– مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق– السنة: ٢٨ .
٦٢– مجلة المجمع العلمي العراقي:– المجلد الثاني من سنة ١٩٥٢م.
٦٣– مجلة المكتبة العربية– السنة الاولى: العدد الاول.
٦٤– تعريف العلماء بأبي العلاء.

الفهرست

من آثار المؤلف

١ـ ألامير خالد بن يزيد، دمشق ١٩٥٢م .
٢ـ الفتوة في الاسلام، الموصل ١٩٥٤م .
٣ـ الخدمات الاجتماعية لطلاب العلم في الاسلام ، الموصل ١٩٥٥م.
٤ـ عقائل قريش، الموصل ١٩٥٥م .
٥ـ الموصل في العهد الاتابكي، بغداد ١٩٥٨م .
٦ـ جوامع الموصل، بغداد ١٩٦٣م .
٧ـ الموصل أم الربيعين، أصدرتها مديرية الاثار العامة ، بغداد ١٩٦٥م.
٨ـ دور العلاج والرعاية في الاسلام، ١٩٦٦م.
٩ـ أشعار الترقيص عند العرب، أصدرته وزارة الثقافة والاعلام ، بغداد ١٩٧٠م .
١٠ـ أعلام الصناع المواصلة، الموصل ١٩٧٠م .
١١ـ مخطوطات المكتبة المركزية في الموصل ، بغداد ١٩٦٦ .
١٢ـ مخطوطات خزانة سعيد الديوه‌جي ، مجلة المخطوطات العربية المجلد : ٩ ، القاهرة ١٩٦٣ .

الكتب التي حققها

١ـ مجموع الكتابات المحررة في أبنية مدينة الموصل لنقولا سيوفي، ١٩٥٦م.
٢ـ منية الادباء في تاريخ الموصل الحدباء لياسين العمري، الموصل ١٩٥٥م.
٣ـ ملحمة الموصل لفتح الله القاذري ، ١٩٦٥م .
٤ـ منهل الاولياء ومشرب الاصفياء في ذكر سادات الموصل الحدباء ، محمد أمين العمري، الموصل ١٩٦٩م.
٥ـ ترجمة الاولياء في الموصل الحدباء لاحمد بن الخياط الموصلي، الموصل ١٩٦٦م.
٦ـ ارجوزة السيد خليل البصير ، بغداد ١٩٦٧ .